

بدل الاشتراك عن سنة  
 ٦٠ في مصر والسودان  
 ٨٠ في الأقطار العربية  
 ١٠٠ في سائر الممالك الأخرى  
 ١٢٠ في المراسل بالبريد السريع  
 ١ ثمن للمدد الواحد  
 الاصدارات  
 يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH  
 Revue Hebdomadaire Littéraire  
 Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
 ورئيس تحريرها المشؤل  
 احسن الزيات  
 الادارة  
 دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٤  
 مدين - القاهرة  
 تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٧٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٧ شعبان سنة ١٣٥٩ - الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

## تصحيحاً لتاريخ الزعيم

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت نخبة من المقالات التي نشرتها مجلة « الثقافة » للقراء  
 إحياء لذكرى سعد - رحمه الله - في هذه السنة  
 ولي عناية خاصة بأعمال هذه المقالات ، لأنها تتصل بترجمة  
 رجل عظيم أجلته وانمقدت الأمرة بيني وبينه في الجهاد الوطني  
 بضع سنوات فضلاً عن ستين عدة كنا ننظر إليه فيها قبل ذلك  
 نظرة الوثوق والإعجاب ، ولأن هذه المقالات تتصل من جهة  
 أخرى بموضوع كتاب ألفته في تاريخ ذلك الرجل العظيم ، فيمنيني  
 أن أراجع فيه كل ما عسى أن يصحح رأياً أو واقعة أو خبراً  
 مما ورد في الكتاب لاستدراكه في أوان الاستدراك  
 ومن المقالات التي أعجب إليها نظري أول ما أعجب مقال العالم  
 الفاضل الأستاذ أحمد أمين لأنه كتب عن مدرسة القضاء الشرعي  
 وهو أحد الأعلام الذين أعجبهم تلك المدرسة للقضية الأجل ،  
 الطويلة للنفع والذكرى  
 ولكني عجبت لأنني رأيت الأستاذ ينساق إلى خطأ شائع من  
 الأخطاء للشائمة للكثيرة التي ذاعت عن مدرسة القضاء في بعض  
 الفقرات .  
 وذلك إذ يقول : « ... لم يرش الخديوي ولا الأزهر عن

## الفهرس

صفحة	
١٤٠٥	تصحيحاً لتاريخ الزعيم ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٤٠٨	الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكي مبارك ...
١٤١٢	أخلاق القرآت ... : الدكتور عبد الوهاب مزام
١٤١٥	« نقطة » ... أخرى ... : الأستاذ علي الطنطاوي ...
١٤١٨	من بحائب الاجتهاد ... : « لسائق أدب » ...
١٤٢٠	ثلاث عمرة حجة [نصيدة] : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٤٢١	مرثية زهرة ... : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
١٤٢١	خواطير في الحرب ... : الأستاذ محمد عرفة ...
١٤٢٢	مدرس الرسم ... : الأستاذ عزيز أحمد فهمي ...
١٤٢٥	قصة الفيتامين ... : ...
١٤٢٦	الحيوان يتخاطب وينازل ويعلم : الأستاذ أحمد علي الشحات
١٤٢٨	إلى ممثل فرنسا في سوريا ولبنان : الدكتور زكي مبارك ...
١٤٢٨	نم هي كنية الامام الصادق : الأستاذ عبد الحميد العبادي
١٤٢٩	إلى الأخ الدكتور زكي مبارك : الدكتور عبد الوهاب مزام
١٤٢٩	ديوان مجنون ليلي ... : الأستاذ علي الطنطاوي ...
١٤٢٩	الشمري البيانية ... : الأستاذ خليل النائم ...
١٤٣٠	السيح في كتاب «النثر الفني» : الأستاذ عبد العزيز عبد الحميد
١٤٣١	مولد الدكتور آدم ونسبه : الدكتور أحمد زكي أبو شادي
١٤٣١	عدد خاص من « الحديث » : الأستاذ ابراهيم أحمد آدم عن الدكتور آدم ...
١٤٣١	جواب سؤال ... : الأستاذ ناجي الطنطاوي ...
١٤٣١	حول مقال في سبيل الاصلاح : الأديب عبد الله عبد التواب
١٤٣٢	القاهر ... [قصة] : لكاتب الروسي ألكسندر بوشكين ترجمة الأستاذ حلمي مراد

مجرأه ، والصحيح أنني لم أضرب على المنضدة بيدي ولم يمرض الخديو بسابق عملي في الحمامة ، وإنما شاهدت في سموه ميلاً ظاهراً إلى رفض المشروع بمد ما شجعتني على الضي فيه ، ورأيت به بأبي على المناقشة والشرح أمام زملائي الوزراء ...

« قال رحمه الله بفكاهته المبهودة : وكنت قد انتقلت من للقضاء إلى الوزارة « ببلي » فدأبت على الشرح والاستدلال وقلت : إنني أفهم أن المناقشة حرة ، وأود أن أعرف المانع من تنفيذ المشروع . ولا أدري أن هذا الكلام ينضب الخديو ويشغل وقته على سمه . فأحمر وجهه ككون طربوشه ، وسمع أصحابنا الوزراء مني هذه اللجة فأيقنوا أنني لا أقدم عليها إلا وأنا مؤيد بقوة خفية ، ووهوا أن لورد كرومر يريد إنشاء المدرسة على الرغم من جميع العقبات ، فأجازوا المشروع بالإجماع وبقي الخديو وحده معارضاً فيه والحقيقة أن لورد كرومر لم يقنعني في المسألة إلا بمد أن سمح بما دار بيني وبين الخديو من المتشار المالى ، وقد كان يحضر جلسات مجلس الوزراء »

هذه رواية سعد كما سمعتها منه ، وثبت لنا مرة أخرى أن أصح الإشاعات للرواج هي أولها بمحذر المؤرخين ومن الذين علموا بتصحيح هذه الإشاعة فيما أذكر كاتب سعد وملازمه في وزارتي المعارف والحقانية قواد كمال بك رحمه الله ، ولعله أشار إلى ذلك في مذكراته

\*\*\*

وقرأت في مقال الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف « أن سعداً وهو في وزارة المعارف قد اضطر في بعض الظروف لمصانعة السياسة التي كانت متحكمة في ذلك الوقت ، ومن ذلك ما كان من رأيه الذي دافع عنه خاصاً بالتعليم باللثة للمربية ، ولكنه في هذا إنما جرى على المثل المأثور : لا تكن صلباً فتكسر ولا ليناً فتهمر »

والذي نعلمه أن سعداً لم ينكر أن التعليم باللثة للمربية واجب مطلوب ، ولكنه كان يرى أن التعليم باللثة للمربية لا يتم ولا يتم قبل تحضير كتيبه وإعداد مدرسيه ، وهذا رأى متفق عليه لا ضرورة فيه لمصانعة الأقوياء أو لاجتناب الصلابة ، وفي وسعنا أن نقول إن قوة الاحتلال كانت تصانع سعداً أضما ما كان يصانها ، وكانت تحتل منه أضما ما كان يحتل منها ، وهذا غاية ما يطلب من وزير مصري لم يؤيده في ذلك الوقت برلمان ولم يكن

المشروع ، ولكن سمداً أمر وحرص الأمر على مجلس النظار برئاسة الخديوي ، وعارض في الجلسة من النظار من أوعز إليهم أن يعارضوا ، فأنخذ سعد المسألة قضية يتراجع فيها كما كان يتراجع أيام عهده بالحمامة ، ونسى المجلس ونسى الخديوي وضرب بيده على المائدة كما كان يضرب أمام القضاة ، وتأخذ المعارضون ووقوف على المشروع الذي كان يحلم ببعضه الشيخ محمد عبده ، وتم وفق نفس الخديوي منه شيء بل أشياء ، وهمس الخديوي في أذن مصطفي باشا فهمي رئيس مجلس النظار : يظهر أن نسيتك لم ينس الحمامة ... »

فهذه القضية قد راجت زمناً لأنها تحمل عنصراً من عناصر الرواج بين الجمهور ، وسمتها من مصادر عدة قبل التقائنا بسعد وبعد التقائنا به في أيام الحركة الوطنية ، وهي مع ذلك « مؤلفة » أو مخترة سمنا فيها من سعد نفسه وذكرنا ذلك في مقالنا الذي نشرناه بمجلة « الهلال » للنراء على أثر وفاته ، وذكرناه بمد ذلك في كتابنا عن سعد حيث نقول في الصفحة العشرين بمد المائة :

« ... كان الخديو حريصاً على استبقاء الأزهر في قبضته لإطلاق يديه في اختيار القضاة الشرعيين والإشراف على المجالس الحسبية وما يمهدها إليها من محاسبة الأوصياء على التركات والنظار على الأوقاف ، ولكنه كان يمارض في إصلاح الأزهر وتمكينه من إعداد القضاة والمعلمين والمعلمين على الوجه المطلوب . وقد تبى للشيخ محمد عبده في علاج هذا الإصلاح المسير حتى نفى يديه آخر الأمر واضطر إلى اهتزال منصبه في مجلس الأزهر الأعلى . فلما تصدى سعد لهذه المعضلة المصيبة هاجته الاغراض والمصالح والمراقيل من كل جانب ، فعزم عزيمته ونكب عن ذكر للمواقب جانباً كما دونه حين يتصدى لأمر هو على يقين من صلاحه ومن وجه الحق فيه ، وجاء إلى مجلس الوزراء وهو معمول على أمر من أسرين : إما مدرسة القضاء ، وإما الاستقالة وهو غير آسف

« قال سعد في بعض أحاديثه مما جرى في تلك الجلسة بينه وبين الخديو : إن الأقاويل اختلفت في المناقشة التي دارت بيني وبين الخديو في ذلك اليوم . فقال أناس : إنني ضربت على المنضدة بيدي وقلت في وجه الخديو : دعني أدافع عن مشروعي ! وأن الخديو أجابني حينذاك - آخراً : يظهر أن الباشا لم ينس بمد صناعته القديمة ... يعني الحمامة ، وقال أناس غير ذلك مما يجري

لو بشر الماء حلقى شَرِقْ . حتى وصلنا إلى بيت الأمة »  
والذي أذكره أن سعداً رحمه الله تمثل بذلك للشطر وهو  
في حجرة مرضه بمسجد وصيف بدمه أن روى لي أشياء عن  
أناس من أنصاره كتموا عنه أموراً كان يود أن يطلعوه عليها ،  
وهذه المناسبة ظاهرة من معنى الشطر المفهوم

\*\*\*

وفي عدد للثنافة مثل على اتفاق الرواية إذا اتفقت الملاحظة  
الطبيعية كما يلحظها الرواة خالصة من الحواشي والأغراض  
فقد كتب للكاتب الأمين الأستاذ « كامل سليم بك » عن  
« حالة الزعيم النفسية » عقب مقتل السردار . فقال عما وعاه  
في مذكراته : « وقد صرت بسعد وهو زعيم أزمت حادة أقضت  
مضجهم . ولأذكر على سبيل المثال ما حدث له أيام وزارة زيور باشا  
لثقي ألفت عقب مقتل السردار ، فقد ساد البلاد جوٌّ خانق بكجو  
الأحكام العرفية ، وقبض على الأبرياء وزجوا في السجون لأتفه  
الشبهات ، وفي طليقتهم الدكتور ماهر والأستاذ النقراشي ،  
وكان سعد يجبهما ويثنق بهما أخلص حب وأكل ثقة ، وحزن  
لسجنهما أشد الحزن وأخذ كثيرون من أنصاره ينفذون من  
حوله أو ينقطعون عن زيارته ؛ فدخلت على سعد يوم ٣٠ يولييه  
سنة ١٩٢٥ وهو في هذه الحالة النفسية للتمعة ووجدته وحده  
في مكتبه الداخلي في بيت الأمة يطالع كتاباً ؛ ولن أنسى ما حبيت  
ما لاحظت عليه من الحزن الأسود والألم الأليم . سألتني عن  
الحالة المامة فحدثته بما أعرف وتمعدت أن أضمن حديثي ما يدعو  
إلى الأمل والتفاؤل حتى أدخل على قلبه الكبير شيئاً من الطمانينة  
والسكينة ، فابتسم ابتسامة فائرة كانت على الألم أدل منها على  
أى شيء آخر ، وقال : « اسمع يا كامل لقد ألم بالناس هنال  
شديد ، وهو أشد لدى من كانوا أكثر للناس حماسة وأشدهم  
غيرة ، ومن بقى مني منهم موجودون إما حياء أو تورطاً  
ولما لدم وجود وسيلة أخرى ، وهي مصيبة ليس لها إلا ربك »  
وإلواقع أنني لم أجد سعداً في حالة من التهم كالحالة التي وجدته  
عليها في تلك الفترة ، ولاحظت ذلك في كتابة تاريخه فقلت :  
« ما أعرف وقتاً تسرب فيه للسأم والتعب إلى بنيته وإلى نفسه  
كما كان يتسرب أحياناً خلال الفترة من مقتل السردار إلى عودة  
الحياة للثنافة ... وذات ليلة كان يسأل : ما الذي يبعث للقوة  
في الشعب ؟ وكنا ثلاثة على مائدة : محامياً معروفاً والأستاذ

الخدوي من الراغبين في بقائه ، ولا سند له إلا ما وتر في نفسه من  
القوة وصلابة الشكيمة

\*\*\*

وقرأت من مقال مكرم عبيد باشا « ... إن سعداً للمعظم  
كان كسعد الرجل ، إذا ما أحس إحساساً فلا توسط في حساسيته  
المرهفة . إذا ما بكى أو ضحك تشاركه عيناه بالدمع المنسجم - يبكي  
فيتطير الدمع كالشرر المستمر ، ويضحك فينساقط الدمع كاللؤلؤ  
المنهمر ... ولا يهولك أن يبكي سعد المعظم أو سعد الرجل فلعل  
أجل آية في الإنجيل هي تلك الآية الحلوة القصيرة : بكى يسوع »  
والواقع أن البكاء كان « تبيراً » قوياً في نفس سعد زغلول  
لا يدل على ضعف ولا استكانة ، ولكنه لم يكن من الانطلاق  
والماودة بحيث يفهم من هذه العبارة . فعمل طول رؤيتي له لا أذكر  
أن عينيه فاضتا بالدمع الغزير غير مرتين ، أما تناثر الدمع من عينيه  
حين يطول الضحك فأمر طبيعي في تركيب العيون يزيد في سعد  
أنه احتفظ - على خلاف كثير من الشيوخ - بنعمة الضحك  
للقلي إلى ما قبل وفاته بأيام . وكان رحمه الله يمتنع البكاء  
نا استطاع ويشيح بنظره عن رؤية الضمء اللباكين ، وقلنا من  
للكتاب في هذا المعنى : « إن هذا المناضل المكافح طول الحياة  
لم يكن أبغض إليه من رؤية المنف ولا مشاهدة الحزن والحزونين .  
ذهب بدم الإفراج عنه في جبل طارق ليشهد صراع الثيران على  
الأرض الإسبانية ، فلم يطق ما رآه من تمذيب هذه الحيوانات  
وانصرف بدم فترة وجيزة وهو يتأفف من هذا اللعب المقوت .  
وعرف عنه ذووه أنه لا يطيق أن يرى البكاء لأنه يؤذيه ويستبكيه  
فكان يقول لم : لا تبكوا أحداً أماًي ، وإذا مت فخذوا ناركم  
مني ولا تبكوني . ومن عادة ألا يظهر أمام الناس في موقف  
يخشى فيه من جيشان نفسه وغلبة دموه ، ولهذا لم يستقبل  
أم المصريين على الرمي في جبل طارق واكتفى بأن ينتظرها  
في حجرة الاستقبال ... »

فبكاء سعد كان في تميزات نفسه في أمثال تلك المواقف ...  
المدودة ، وكان مع هذا يجتنبها ما استطاع

\*\*\*

وجاء في مقال صاحب العزة « نخري عبد للنور بك » :  
« ثم ركبتا البحر وعدنا أدراجنا إلى القاهرة ، وكان الزعيم  
الخالد يبدى جلياً وسبراً ، وكثيراً ما كان يردد هذا الشطر :

## الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

سمد زغلول خطيباً — الخطابة والحديث منذ جماعة من رجال هذا العصر : طه حسين ، عبد الطيب الصوفاني ، طي فهمي كامل ، عبد العزيز جويش ، مكرم هيبد ، مصطفى النحاس ، محمد حسين هيكل ، محمود فهمي النقراشي ، محمد محمود ، عبد الحائق ثروت ، حافظ عفيف ، طلعت حرب ، حلمي همسي ، عبد الحميد بدوي ، طي ابراهيم ، نجيب الهلال ، ابراهيم مبد الهادي ، أحمد لطفي السيد .

عجب فريق من القراء من حكننا على الزعيم ( سمد زغلول ) خطيباً ، وهددنا أحد الرفاق الأحرار بكتابة فصل ينقض به حكننا من الأساس ، وعاتبني بمضهم على ذلك الحكم للصرح قلت : إنما سجلت إحساساتي بصدق ، ولا موجب للواريه في الحكم على خطيب لم تكن الخطابة إلا عنصراً واحداً من عناصر كثيرة تألفت منها قوته الدائية ، فجدده لا يقف عند القول بأنه كان أخطب الخطباء .

عبد القادر حمزة وكاتب هذه السطور ، فقال الحامي وظن أنه يرضيه بما قال : يا باشا كلمة منك تبث فيه الحياة للفتية . واسترسل في مثل هذا للكلام ، فنظر إليه سمد هنيهة ثم قال : ما هذا ؟ أريد أن تخطب ؟ أريد أن تتعمس ؟ طيب ... تفضل اخطب وتحمس وانتظر من يسمع

وكانت نفسه برمة جداً بمن يمشون بهذا الموضوع لأنه كان مبهوماً به لا يطيق الهزل فيه . بل كثيراً ما سمعته يتضجر في تلك الأيام من حب التنكفة في الطبيعة المصرية ويقول : لولا أن المصريين يضحكون من زبور وغرائبه لما احتملوه هذا الزمن للعاويل «

\*\*\*

وبعد فإني أسجل هذه التعميمات على ما قرأت في فصول الثقافة وفي اعتقادي أن إخواننا الذين احتفلوا بذكرى الزعيم للمظيم يرحبون بما فيها من تصحيح لبعض الوقائع والأخبار ، إذ كانوا ولا ريب إنما يقصدون إلى تمحيص الحقائق عن ذكراه .

هباس محمد العقاد

وأواجه الموضوع مرة ثانية خدمة للتاريخ الأدبي فأقول : كان يهمني من عهد بعيد أن أدرس للمصر الذي أعيش فيه دراسة صحيحة ، وأن أزن المواهب عند من ألقبهم من أهل الفكر والرأي والبيان ، وقد يتفق أحياناً أن أشغل نفسي بدراسة الوجوه والملامح ، وربما توغلت فدرست الصلات المجهولة بين ما يُظهر للناس وما يُضمر ، فإن رأى بعض القراء خطأ في بعض ما أصدر من الأحكام الأدبية على أهل هذا الجيل ، فلا يرجع ذلك الخطأ إلى المسارعة في الحكم بلا روية ، وإنما يرجع إلى أني قد لا أوفق إلى الصواب مع الحرص الشديد على النظر والتدقيق

والحق أني مفتون بنفسي من هذه الناحية ، ولا أعترف بأنني قد أخطئ إلا تجنباً للوقوع في اللجاجة مع بعض القراء ، مع أني أومن بأن الكبر الطبع أخف روحاً من التواضع المصنوع . وأقول بمباراة صريحة إن التمييز الساتر له فنون ، وقد تدق الفروق بين تلك الفنون ، ثم تدق حتى يصبح من المسير أن نضع لها الموازين ، ومن هنا ينشأ الخلاف في الحكم على طبقات المتحدثين والخطباء

وأضرب المثل بالفرق بين المحاضر والخطيب ، فالفهم أن المحاضرة والخطابة فنان يقتربان أشد الاقتراب ، لأنهما في ظاهر الأمر يجمعان إلى أصل واحد ، ومع ذلك نرى للقدرة على المحاضرة والخطابة تفاوت أشد للتفاوت عند الرجل الواحد في بعض الأحيان

فالدكتور طه حسين محاضراً يُعد في الطبقة الأولى بين المحاضرين ، ولو راعينا أن الدكتور طه لا يستطيع أن يهبي كلاماً يأخذ بعضه برقاب بعض في دقائق تقارب الستين لجاز الحكم بلا مجاملة بأن الدكتور طه هو المحاضر الأول في هذا الجيل

ومالي لا أقول الحق كل الحق فأصرح بأنني لم أشهد في مصر محاضراً يماثل الدكتور طه في جهارة الصوت ونساعة الأداء ؟ ولكن طه حسين خطيباً مخلوق آخر : فهو في الطبقة الحادية والمشرية بين خطباء هذا الزمان ، وما سمعت الدكتور طه يخطب إلا أشفتت عليه ، فن السجيب أن الرجل الذي لا يتجسس ولا يتوقف وهو يحاضر قد يمرض لأبتغى ضروب التي وهو

بمنف في المواطن التي تحتاج إلى تأكيد ، وكان يحفظ الأرقام  
 مهما بعد عهدا في التاريخ ، فلم يكن من الصعب عليه أن يذكر  
 اليوم الذي وقع فيه حادث مأثور في أي عهد من العهود  
 وقد حملته الثقة بالنفس على أن يتقدم للانتخابات في دائرة  
 السيدة زينب منافسا لازعيم سعد زغلول ؛ فلما راجعته في ذلك  
 غضب وثار وأعلن أن انتصار سعد عليه أبعث تصورا من المستحيل  
 والمهم هو النص على أن على فهمي كامل المحدث غير على  
 فهمي كامل الخطيب ، لبعد ما بين الحالتين من العنف والطف ،  
 والنفرة والطمع . ولم أشهد على كامل يرتجل الخطابة إلا مرة  
 واحدة في نوفمبر سنة ١٩٢٠ وقد وقف بخطب على قبر محمد زويد  
 وهنئ هاتف : يحيا سعد ! فاعتناظ الرجل وانذفع في تجريح سعد  
 بقوة فهاره فرضت على السامعين أن يلوذوا بالصمت والخشوع ،  
 في وقت لم يكن يجرؤ فيه أحد على أن يذكر سمدأ بنير الجليل  
 أما الشيخ عبد العزيز جاويش فكان يلقى خطبه بأسلوب  
 المدرس المتمكن ، وكان يثاب عليه أن يرد يده إلى أذنه بصورة  
 من يدعو فكره إلى التجمُّع ، وكان يهتف بكلمة « وى ! »  
 حين يرى الماني تشرُّد أمام فكره للفنَّاس فتراجع إليه وهي  
 أوانس خواضع :

وكان الشيخ جاويش حين يتحدث في لحظات الصفاء أحيانا  
 من الفتاة البتول ، وكان لصوته في أوقات اللطف نبرات عذاب ،  
 وكانت له ابتسامة حلوة إلى حد يفوق الوصف ، وكان لعينيه  
 بريق جذاب ، فإذا غضب لحديثه ونظراته رعد وبرق وسواعق  
 كنت أدخل عليه في وزارة المعارف بلا استئذان ، وكانت  
 للقرص كثيرة لمقابلته ، لأنه كان يكث في مكتبه كل يوم نحو  
 عشر ساعات ، فيتحدى في الوزارة كيفما اتفق ، ويصل فيها للظهر  
 والعصر والمغرب ، وقد يحلوه الأانس بالواجب فيبقى في الوزارة  
 إلى أن يصل المشاء

دخلت عليه مرة فوجدت عنده إنسانا مترويا في إحدى  
 نواحي المكتب ورأيت للشيخ غضبان والشرر يتطاير من عينيه ،  
 فسلمت تمليا مختصرا وجلست

وما هي إلا لحظات حتى انفجر الشيخ كالبركان في وجه  
 ذلك المجلس ، فقد صرخ :

يخطب ، فن أن جاءت هذه الفروق بين الموقفين مع قرب الصلة  
 بين موقف المحاضر وموقف الخطيب ؟

أرجع للسبب إلى أن الدكتور طه محدث بارع ،  
 والمخاضرة فن من الحديث ؟

أم يرجع السبب إلى أن الدكتور طه يجري على فطرته  
 وهو يحاضر فيتكلم له للقول ، ويتكاف وهو يخطب فيسمع  
 « بزايا » المتكلمين من الفضلاء ؟

هذا موضوع يصلح للدرس ، وهو من الدقة بمكان .  
 وأذكر شاهدا آخر يوضح هذه القضية بعض التوضيح

كانت صحتي طالت لفقيد الوطنية والدين عبد اللطيف  
 الصوفاني ، وكنت أراء أقصح للناس حين يدور الحديث حول  
 الطالب القومية ، ثم صنعت فرصة وجب فيها أن يقف ليخطب ،  
 فرأيت لبسونا شاسما جدا بين الصوفاني المحدث والصوفاني  
 الخطيب ، ولعل شاعرنا شوق راعي هذا المعنى حين قال وهو يرثيه :

ما كان نسا ولا زيادا ولا بسحر البيات جاء  
 لكن إذا قام قال صدقا وجانب الزور والرياء  
 وعرفت خطباء لا يجيدون إلا حين يحفظون خطبهم من ظهر  
 قلب ، ومن هؤلاء المرحوم على فهمي كامل الذي مات في رثاء  
 شهيد الوطنية محمد فريد

وإنما قضيت بهذا لأنى سمعته مرة يخطب نحو ساعتين بلا تعلم  
 ولا تردد ، وكان ذلك في كاية معاني كامل في إحدى ذكريات  
 الزعيم الأول ، وبعد انقضاء الاحتفال بوقت قصير ظهرت  
 جريدة اللواء وفيها خطبة على فهمي كامل ، فرأيت للنص  
 المكتوب عين النص المسموع ، بلا تقديم ولا تأخير ، وبلا زيادة  
 ولا نقصان

ويؤكد من عرفوا الزعيم الخالد مصطفي كامل أنه كان  
 يحفظ خطبه من ظهر قلب ، ويؤيد هذا خطبته التاريخية على  
 مسرح زرينيا بالأسكندرية ، وهي أعظم خطبه ، وبها ختم حياته  
 الخطابية ، وأسلوبها يشهد بأنه نظمها نظما ثم حفظها قبل أن  
 يلقيها على الناس

فكيف كان على فهمي كامل وهو يتحدث ؟  
 كان أمجوبة الأماجيب في قوة الأداء ، وكان يتابع أسنانه

« من يتزوج بناتنا إذا جاز لكل شاب مأفون ألا يزور أوروبا إلا طادومعه زوجة فرنسية أو إنجليزية أو ألمانية ؟ إن الأتراك لا يتزوجون بناتنا عطرسه منهم وكبرياء ، والمغاربة وهم في مثل حالتنا لا يتزوجون بناتنا إلا في قليل من الأحوال

فكيف يجوز لشاب أن يترك بنات وطنه للبور ، وهو يعرف في سريرة نفسه أن الفتاة المصرية معدومة النظائر في الجبال وأدب النفس ؟ وما الذي يهرك من الفتاة الأوربية حتى تنسى بها بنت وطنك ؟ ومتى بصير أمثالك رجالاً يعتمد عليهم الوطن وقد حرمكم الله نعمة الوطنية ؟ »

وخرج الشاب وهو آسف . وكانت لحظة صمت توهمت فيها معنى للشيخ جاويش منورقتين بالدمع ، فطلب فنجان قهوة ، ثم تكلف الابتسام ، وقال : « لا تؤاخذني ، فذاك فتى كان أبوه من أعز أصدقائي ، وما كنت أحب أن ينسأخ من وطنه بازواج من امرأة أجنبية »

ومع أن المسألة فيها نظر ، ومع أني كنت أراجع الشيخ في كثير من الشؤون ، فقد تخوفت عواقب غضبه إن راجسته في ذلك الشأن الدقيق ، ثم انصرفت وقد عرفت أن الشيخ لا يرق ولا يلفظ إلا في ساعات الصفاء ، وأنه أخطب ما يكون وهو غضبان

أما مكرم باشا فببب فم أسمه يخطب إلا في الحفلات ، وهو يحفظ خطبه عن ظهر قلب

وقف يخطب في ذكرى ١٣ نوفمبر أيام الائتلاف ، وبعد مدة تزيد على عشر دقائق دخل عدلي باشا يكن ومعه جماعة من الوزراء ، فرجع مكرم باشا إلى مطلع الخطبة من جديد فأعادها حرفاً حرفاً بلا تغيير ولا تبديل

أما مكرم باشا محدثاً فلم أهرفه إلا في لحظات قضيتها معه بشارع ريفولي في باريس سنة ١٩٢٩ ، وهو يقبل عليك حين يحدتك إقبال من يهمة أن يظفر بفتنك ، فيترقب ويتلفظ ، وينقل من فن إلى فنون ، وهو في جميع أحواله خفيف لائل والروح ولم أسمع مكرم باشا وهو يرتجل لأهرف للفرق بين حالته في الأداء ، ولكن من المؤكد أن حالته يختلفان بسبب غرامه

بالتخرف والتنميق ، ومن كان كذلك فأسرته في الروية غير أسره في الارتجال

ولم أسمع النفران باشا خطيباً ، ويقول الذين سمعوه إنه ليس من الخطباء

أما النفران الحديث فهو آية في حلاوة التفسير وسلامة المنطق ، على شرط أن يكون الحديث في داره لا في وزارة المعارف أو وزارة الداخلية

وهو مرهف العقل حين يتحدث ، ولكلامه مذاق خاص لأنه لا يتكلم إلا وهو مبتسم ، وقد تعجب حين يجادلني بأن يكون لثله أعداء ، لأنه ينقل أحاديثه عن قلب يفيض بالشهامة والصدق والإخلاص ، وإن كثرت القول بأنه منطور على المنف والاعتصاف

والنحاس باشا خطيباً لا يرضيني ، وإن كنت أول من تنبأ بأنه سيكون خليفة سعد ، يوم رأيت بصاولة زغلول باشا في مجلس النواب ، وكنت مضيت مع الأستاذ محمد المهياوي لشهود بعض المواقف المهمة قبل أن يموت سعد بمامين

والسبب في خطابة للنحاس باشا يرجع إلى الأداء ، لأنه يؤدي الممان بأسلوب رتيب ، ولا يفرق بين مقامات الكلام إلا في قليل من الأحيان ، ولو جاز أن تقدم نصيحة لرجل في مثل مراكز النحاس باشا لرجونه أن يرجع إلى باب من أبواب العربية اسمه الوقف ا

أما النحاس باشا متحدثاً فهو على جانب عظيم من الجاذبية في أوقات الصفاء ، فهو يرسل للتكته المستمدية بلا تكلف ، وهو لكرم طبعه ينسبك أنه من الزعماء ، وهو أولاً وآخرأ رجل له قلب ، على قلة أرباب للقلوب في هذا الزمان

فإن تحدث النحاس باشا وهو غضبان فلا تعجب حين يقع منه ما لا يرضيك ، لأن الغضب يحوّله إلى رجل ينكر أن في الدنيا كلاماً يقال وكلاماً لا يقال ا

أما موهبة هيكل باشا خطيباً فليست بشيء بالإضافة إلى موهبته في الحديث

يحدتك هيكل باشا وهو « ابن بلد » فتستظرفه إلى أبسد الحدود ، لأنه من هذه الناحية موهوب . فإذا خطب وأراد أن

ولا أعرف أين يقع مكان نجيب بك الهلال بين الخطباء ،  
ولكني أعرف أنه محدث ظريف  
أما حلى باشا عيسى ، فهو قبض من الفتوة والفتوة حين  
يتحدث ، وإن كنت لم أرض عن أسلوبه الخطابي حين سمعته  
في مجلس النواب ، ولعل ذلك لأن موقفه كان موقف المقرر  
لا موقف الخطيب ؛ والأستاذ إبراهيم عبد الهادي كان من خطباء  
الثورة المصرية ، وكان يومئذ فصيح اللسان ، وكان صدرى  
ينشرح حين أراه على حدائه سنة ينسأى إلى منازل الخطباء للقضاء  
في تحيّر اللفظ للفخم والمعنى الواج ، ثم ضاق به صدرى حين  
سمعته يخاطب في مسرح الأزيكية بمد الثورة بأعوام ، فقد سلك  
في التحريض على أعضاء الحزب الوطنى مسلكا غير مقبول ، ومع  
ذلك كان يستنفر الجمهور بشواهد من القرآن والحديث |  
وكذلك انصرفت عنه وانصرف عني فلم تكن تبادل  
التحيات إذا للتقينا مصادفة في الطريق ، ثم تمارفنا بمد طول  
التناضى حين تلافينا في المفوضية المراقية منذ أكثر من شهرين  
فكيف صار إبراهيم عبد الهادي الخطيب ؟ أهو كهدى به قبل  
عشرين عاماً حين كان يرصع خطبه بالحكم والأمثال والآيات  
والأحاديث ؟ أم تكون الدنيا راضية على فنون من سرعة القول  
وبديهة الارتجال ؟  
يشهد ما أقرأ من خطبه المنشورة أنه لا يفرق كثيراً بين  
مقامات الكلام : فهو يخاطب في مجلس النواب كما يخاطب  
في الحفلات ، مع أن للفرق بين المقامين بعيد . فإن سنتحت فرصة  
لشهوده خطيباً ومتحدثاً فقد أرجع إلى هذا الرأى بشيء من  
التعديل ، ولكن ما أهمية الخطابة والحديث في حيوات الرجال ؟  
لذلك أهمية عظيمة جداً ، فاستأذنا أحمد لطفى السيد باشا  
مدين مواهبه في الحديث أولاً وفي الخطابة ثانياً ، وأكاد أجزم  
بأنه يراعى للتعبير كلما تحدث ، ولو كان الحديث أمراً بتقديم  
القهوة للضيوف ، وللحديث عنده ألوان : فهو تارة بالمامية  
للشقاوية ، وتارة بالفصحى البدوية ، تبعاً لاختلاف المقامات ،  
ولهجته البلدية هذبة حلوة تقع من آذان السامعين أجل موقع ،  
فإذا بدا له أن يُغرب فهو أعراي من مجاهيل الليداء ، وهو  
في حاله يتكلم بصوت رنان يذكر بالخان يوسف المنيلوى ،  
إن رضى عن هذا الوصف

يكون « ابن بلد » ضاقت به نفسك ، لأن الخطابة لها وقار  
لا يسمح بالمبارات البلدية ، وقد بمدّها من الابتذال  
وبروعك من هيكل باشا صفاء عينيه حين يتحدث ، حتى  
لتكاد تجزم بأنه الشاب الذى ترفق فأشار في كتابه عن  
« جان چاك روسو » إلى أنه كان من أهل الفتون يوم كان  
طالباً في باريس . أما مقام هيكل باشا في الصحافة والتأليف  
فهو أوضح من أن يحتاج إلى بيان ، لأنه في هاتين الناحيتين  
من أقطاب هذا الجيل  
أما زعيم الدستوريين محمد باشا محمود ، فلم أشهده خطيباً  
إلا مرة واحدة في الخطبة التي قال فيها وهو غضبان :  
« زيد أن نعرف لمن الأمر اليوم : ألسعد أم للأمة ؟ »  
وكنت سمعت أنها عرضت قبل إلقائها على الدكتور طه حسين  
والمهدة على الشخص الذى صحب الدكتور طه أيام سكناه بهي  
قصر النيل ، فهو الذى زعم في جريدة « الإنذار » أن الدكتور طه  
هو الذى أنشأ تلك الخطبة للتاريخية  
والذى يرى محمد باشا محمود وهو يتحدث يؤمن بأنه من أفراد  
الأدباء في اللغة العربية ، وكيف لا يكون كذلك وهو من أسلم  
للناس ذوقاً في الحكم على الأدب القديم والحديث ؟  
ولم يكن صوت ثروت باشا في الخطابة بالصوت المقبول ،  
كان صوته لونا من ( المرصعة ) ، وكان يقرأ خطبه في أوراق  
مكتوبة بطريقة تشهد بأنه يخشى عادية اللحن والتصحيح  
وأعظم خطب ثروت باشا هي خطبته في الرد على معارضيه  
سنة ١٩٢٢ ، وقد صححها الرحوم محمد الرصنى ، فشهد التصحيح  
بأنها استهدفت لطفيان قلبه البليغ  
أما ثروت باشا المحدث ، فكان من الآيات في عدوية الروح  
وقد استطاع بلباقته أن يسيطر سيطرة روحية على الزعيم سعد زغلول  
قبل رحيله عن هذا الوجود ، فلما وقف يرئ سمعاً بعد ذلك ، قهره  
للقلب الطيب على أن يضيف إلى خطبته سطوراً من الدمع المسكوب  
ولم أسمع حافظ باشا عفيفى وهو يخاطب ، أما أسلوبه في الحديث  
فقد بهر قلبي وعقلي  
وظلمت باشا حرب ليس بخطيب ولم يخلق للخطابة ، وهو  
مع ذلك محدث جذاب ، وحاله في ذلك يشبه حال الدكتور على باشا  
إبراهيم ، أو حال عبد الحميد باشا بدوى

# أخلاق القرآن

للدكتور عبد الوهاب عزام

- ١ -

أعرض في مقالات قليلة أميات الأخلاق في القرآن ، كيف بينها الكتاب الكريم وكيف دعا إليها بمد أن أقدم مقدمة وجيزة تبين المقصد الآخر الذي قصد إليه القرآن من تربيته وتعليمه :

سئلت عائشة رضي الله عنها عن الرسول صلوات الله عليه ، فقالت : كان خلقه القرآن . فأخلاق القرآن هي التي تجلت في محمد خاتم النبيين وأصحابه ومن تبعهم وصار على نهجهم من بعد . وإنما يظهر صلاح القانون حين إنفاذه ؛ ويتبين سداد الرأي حين يختبره العمل ، ويُعرف رشاد الطريقة حينها تهدي السائرين عليها إلى الناية المثلى . فإذا أردنا أن نقد أخلاق القرآن فإنما ندينها في سيرة من عملوا بالقرآن

كل ما يزدان به تاريخ الإسلام من سير الملوك والولاة

ولطفت باشأله تاريخ في الدعوة إلى العامية ، ولكنه مع ذلك يكره التبذل والإسفاف في الخطب والمحاضرات ، ولو سمته وهو يخطب لعرفت أن دعوته إلى العامية لم تكن إلا دعابة أراد بها أن يشغل الجمهور عن المناوشات التي كانت تقع بين أرباب الأقاليم أيام الصيالي بين الجريدة والمؤيد واللواء ، فلما جد الجد وصار مديراً للجامعة المصرية أعلن أن اللغة العامية لغة للموام وأنها لا تملك القدرة على التفسير عن أفكار الخواص ، في حديث أذيع باسمه في مجلة الهلال

أما بعد فأين أنا مما ابتدأت به هذا الحديث

كنت أريد أن أشرح كيف اختلفت الآراء في سمد زفلول خطيباً ثم إندفمت إلى شجون من الأحاديث شغلتنى عن الموضوع الأسهل ، وإن كانت تتصل بي أوثق اتصال . فإن استعجاب القراء هذا الفن من التشریح فسأرجع إليه بعد حين

زكى مبارك

والفقواد والقضاة وال علماء والمصلحين وغيرهم ، فهو أخلاق القرآن تتجلى في صور مختلفة . فإن رأيت ملكاً من المسلمين ملك الدنيا ولم تملكه ، وسيطر على الأرض ولم تسيطر عليه ، فمأس عبادة الله ببدل الله ، وأتمب نفسه ليربح رعيته ، وراقب فيهم ربه ليله ونهاره ، فهذا من أخلاق القرآن . وإن رأيت ولياً دخلت الدنيا يده ولم تدخل قلبه وكف يده عن المحارم ولم يأل جهداً في العمل لخير الناس ، فهذا من خلق القرآن كذلك . وإن رأيت قائداً يحقر الممالك ، ويقذف بنفسه في المارك ، يفتح البلاد ولا يمتنع للعبادة ، قد ملكت الفناعة قلبه ويده ، وكفبه المدل عن المدوان ، فهذا خلق القرآن في أحد مظاهره . وإن رأيت قاضياً كد عقله في معرفة الحق والتثبت ، وآثر المدل وجانب الجور وأخلص لله فكره وحكمه ، وأقضى مضجعه عظم التبعة ، فذلك من قضاة القرآن . وإن رأيت عالماً توجه إلى الله بفكره ، وأدام النظر في ملكوت السموات والأرض ، ودأب في البحث ابتغاء الحق لا يميل مع الهوى ولا يرجو إلا وجه الله فهو من علماء القرآن عدل أصحاب السلطان ، وجهاد المجاهدين بالحق ، وإحسان الحسين في كل عمل ، وطلب الحق والصبر عليه ، ودفع الظلم والنفور منه ، والاضطلاع بأعباء الحياة ، والصبر على المكاره والتثبت في الشدائد ، كل ذلك من أخلاق القرآن . والغلاسة أن الحياة في أقوى مظاهرها ، وأحسن وجوهها ، وأعدل سيرها ، وأرحم قوانينها ، وأجل أعمالها ، كل أولئك تقصد إليه أخلاق القرآن

من يتدبر القرآن يعرف أن المقصد الآخر الذي ترى إليه تربية القرآن هو أن يمرر الإنسان من أهوائه وشهواته ، وأن تقوى نفسه بالأخلاق القوية للقوية ، وأن يزود عقله بالمعرفة ، ثم أن يعمل بهذه النفس المحررة القوية وهذا للعقل للقويم في معترك الحياة مبتثياً الخير لنفسه وللناس كافة . ذلكم مقصد القرآن فيما يسلم من الأخلاق

يريد للقرآن نفساً محررة من الأهواء والشهوات ، وسأين هذا من بعد ، ولكني أسارع فأقول هنا : ليس معنى التحرر من الشهوات الحرمان منها ؛ فإن القرآن يريد للناس أن يستمتعوا بهذه الحياة ، ولا يزوروا عنها ويتجنبوها : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب

عن سبيل الله . » ويقول : « أقرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؟ » ويقول : « أفن كان على بيّنة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم . » ويقول : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى . »

أرأيت كيف ينهى القرآن عن الهوى ويمده معطالاً لعارف الإنسان وعقله وسمعه وبصره ويراها رأس كل ضلالة ؟

اشتد القرآن في النهي عن اتباع الأهواء ، حتى نهى عن الأخذ بالظن ، لأن الإنسان إذا لم يسر على بينة مال به الهوى الخفي وأوحى إليه للظنون المختلفة : فيظن الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، والخير شراً ، والشر خيراً ، كما ينزع هواه وتعمل نفسه . وما أكثر ما نهى القرآن عن الظن ، قال : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » ، وقال : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » ، وقال : « وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يبنى من الحق شيئاً » . بل بيّن القرآن أن ضلال الناس ناشى عن اتباع الظن فقال : « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن »

هكذا يشتد القرآن الكريم في الدعوة إلى تحرير النفس والمقل من الأهواء وتبرئتهما من للظنون ، ليقارب الإنسان الصواب جهده ، وتستقيم له طريقة للفكر بطريقة العمل وأما تقوية النفس وتهذيبها بالأخلاق الفاضلة ، فسيأتى بيانه حين تفصل للكلام في الأخلاق التي دعا إليها القرآن . وأما تقوية العقل وتقويته بالمعرفة ، فقد دعا القرآن إلى الانتفاع بالمقل والنظر في ملكوت السموات والأرض وجعل الذين لا ينتفعون بقولهم كالأنعام أو أضل ، وقال : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض — أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء — قل سيروا في الأرض فانظروا » ولقد دعا القرآن للناس إلى مظاهر للكون ودعاهم إلى التفكير فيها ليتعرفوا أسرارها « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفتك التي تجري في البحر بما ينفع للناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر

السرفين » . « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » « وابتغ فيها آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب الفساد »

القرآن لا يدعو إلى الرهبانية ولا يرصاها ، وإنما يدعو الإنسان إلى أن يرى بنفسه في ممارك الحياة مزوداً بالأخلاق القوية للفاضلة ، مریداً الخير لنفسه وللناس حتى يعيش راضياً مرضياً . فمن اعتزل ممارك الحياة فقد فرّ من الواجب ، وجنح إلى الراحة ، وآثر البطالة . وليس تمسكه بالأخلاق للفاضلة بمد هذا إلا كما يتسلح الجندي ثم يترهب في دير . للعبادة الحق في شرعة الإسلام هي الجهاد في هذه الحياة . كل عمران في الأرض ، وكل إحسان إلى النفس أو الأقرباء أو الأصدقاء أو عامة الناس أو إلى الحيوان الأحمق ؛ كل هذا عبادة بأمر بها الإسلام بل يمدّها أفضل المبادات . وقد قال أحد صوفية المسلمين : « ليست الولاية أن يعنى الإنسان على الماء أو يطير في الهواء ، ولكنها أن يعمل الإنسان في الأرض فيزرع أو يتجر وينم بالمهش وهو لا يتفل عن الله طرفة عين » ومن أجل هذا كانت المراقبة في التنوير ، أى حماية حدود البلاد ، من أفضل المبادات عند المسلمين . وكما يحدثنا التاريخ عن علماء أتياء أقاموا في التنوير ورايطوا العدو ، برون أن عبادتهم وورعهم لا ينتيان عن هذه المراقبة شيئاً . ولأن المراقبة عبادة سمي الصالحون في بعض البلاد الإسلامية صراطين وسمي رباطا المكان الذي يشتكف فيه التعميدون إنما يريد القرآن من التحرير من الشهوات أن يسيطر الإنسان على نزواته فيلائم بينها وبين الحق والخير وفضل أو يكف حراً بمقله لا عبداً بهواه

مقصد الإسلام الأخير هو تحرير النفس من الأهواء والشهوات وتقويتها بالأخلاق الفاضلة وتحرير العقل من الأهواء كذلك ، وتقويته بالمعرفة ، ثم العمل بنفس محررة قوية ، وعقل حر واسع ، في أرجاء هذه الأرض خير للناس . فأما للتحرر من الهوى فقد أمر به القرآن في آيات كثيرة وافقن في الدعوة إليه بأساليب مختلفة . يقول القرآن الكريم : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك

تسومها بمدل الله طوعاً أو كرهاً . ولا تزال دعوة القرآن مسموعة، ولا يزال المثل للناس مضروباً ، ولا يزال الأمل معقوداً بأن نجي هذه الدعوة الأخلاقية الأمم مرة أخرى . لا يزال في هذه الأرض خصب وبركة، ولا يزال في هذا للسحاب برق وورعد ومطر، لا تزال في هذه للنفوس حياة وفي هذه للقلوب خير . وإن مع اليوم غداً وسأين في المقالات الآتية أمهات الأخلاق في القرآن إن شاء الله .  
عبد الرهاب عزام

بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » وكثير في القرآن مثل هذا ، وما هذا للنظر إلا وسيلة المعرفة ، وهل أنج معارف البشر إلا للنظر في ملكوت السموات والأرض ؟ وقد أمر القرآن بالاستزادة من العلم فقال : « وقال رب زدني علماً »

وأما للعمل فهو المقصد الذي يقصد إليه القرآن من تعليم الأخلاق للفاضلة، فالقرآن كما قدمنا لا يريد رهبانية ولا فراراً من الجهاد ولا خوراً وإشفاقاً من الاضطلاع بأعباء الحياة، وإنما يريد

للمعمل والدأب والجهاد . أمر القرآن بالعمل وأشاد بذكر العاملين في آيات كثيرة ، وبين أن تدافع الناس سب لعمران الأرض، « ولولا دفع الله للناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » وبين أن الخير لا يدوم إلا بالدفاع عنه والاجتهاد في حمايته « ولولا دفع الله للناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره »

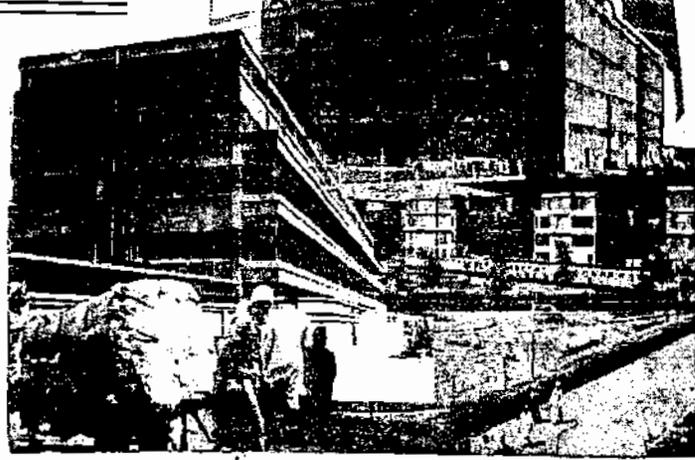
ولم يقبل للقرآن عنبر الأذلاء الذين يمتدرون بالمجز عن العمل أو يتقلب الأقبوا عليهم ، وصدق إياهم عن الخير فقال : « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ » .

فهو يدعو إلى الهجرة حيث يستطيع الإنسان للعمل « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعماً كثيراً وسعة » ذلكم إجمال الكلام فيما يقصد إليه

القرآن من تهذيب النفس وإصلاح الخلق والجهاد في الأرض . وهو الذي ينته أفعال الرسول وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ، فقد خلق للقرآن الجماعة للفاضلة، وخلق الجماعة الدولة، وأيدت الدولة الحق والمدل، وسيطرت على الأمم

## نخبة مصر الصناعية ..

تمتلك في ..  
مصانع  
ومنتجات ..

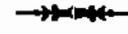


شركة مصر للفنل والنسيج

من الأدب الومراني

## « نفضة » .. أخرى !

للأستاذ علي الطنطاوي



تولت على "الذكريات"، فألقيت كتابي، وأقبلت على ماضي<sup>١</sup>  
أقتش في حدائقه للقاحلة عن وردة أخطأتها رياح الشتاء العاتية،  
وثلوجه وأمطاره، فتوارت في كنف صخرة، أو في حبي جدار،  
تكون صورة من الربيع الغابر، فلم أجد إلا رفات الأوراق التي  
كانت مخضرة زاهية، وهياكل الأشجار المسارية التي كانت  
تلبس من حبل الربيع سندسًا وحريرًا، قد خيم عليها الموت،  
وشملها برد القارس؛ فحوت وجهي شطر المستقبل، فلم ألت  
إلا ظلامًا فوقه ظلام، ووجدت حاضري راكداً ركود الغناء،  
ساکناً سكون العدم، فضاقت صدري، وأغرقتني في بحرها  
المحوم، فجملت أقتش من رقيق يأخذنيدي، وصديق أبته هي،  
وأشكو إليه بني، فلم أجد لي صديقاً إلا للقراء، أولئك هم أصدقائي  
الذين لا أعرفهم، ولا أتفع منهم بشيء، وما لي منهم إلا اعتقادي  
بأنهم يعطفون علي، ولا يشاركون الحاسدين المؤذين حسدم إياي  
وإيذاءهم لي، فكذبت إليهم أحدهم بشكاتي، وأروى لهم  
ذكرياتي. ولعل هؤلاء القراء بضيقون بحديثي صدراً، ويعرضون  
عنه ويستقلونه، ولعل اعتقادي بصدقتهم وهم من الأوهام،  
غير أنني لا أحب أن أرزأ هذا الوم، ولا أن أتيقن فساد، لأنني  
أعيش به في دنيا الحقائق المرة ...

ومن كان مثل غريباً في بلده التي يعرف نصف أهلها ويعرفه  
ثلثهم، يعيش في المدينة الحاقلة بالناس مستوحشاً منفرداً كأنه  
في صحراء، لا يلتقي إلا رجالاً، لا يثنى تمداد أصابع اليدين،  
يجول في هذه الحلقة المفرغة، لا منفذ له منها ولا مخرج، قد دخلت  
حياته من الفرح والألم، وغدت كالأسن، لا تخرج فيه موجة  
ولا تحركه ريح؛ ومن كان يتمنى أن يجد ما يشغله، ويحرك  
سواكن نفسه، وما يدفنه إلى الفكر والعمل، ولو كان للبلاء  
للنازل، أو الحريق المشوب، أو النقي أو المعجن ... ومن كان

يصبح فلا يدري ماذا يعمل في يومه، وكيف يدفع هذا اليوم،  
ويعسى فلا يعرف ماذا يصنع في مسائه، وكيف ينجم ذلك الليل،  
ومن يحس بثقل الأفكار على عاتقه، ولكنه لا يجد إلى سبيلها سبيلاً،  
ويرى الوقت طويلاً والقوة حاضرة، ولكنه لا يعلم فيم ينفق وقته  
ويعرف قوته؛ ومن كان معتزلاً مثلي، لا زهداً في الحياة،  
ولا هرباً من معاركها، ولكن بأساً من مقبل أيامها، وقنوطاً  
من خيرها، فهو يخلو إلى ذكرياته يتأمل بها ويتمزرها، ويجادها  
ويناجيها، ويحيا في خيالات ماضيه حين يحجز عن الحياة في حقيقة  
حاضره؛ ومن كان مثلي لا يشكو للفقر في اليد ولا في النفس،  
ولكن للفقر في العمل؛ ومن كان يجد بحمد الله من المال ما يكفيه  
في يومه ويفضل عن حاجته، ولكنه لا يدري ما يكون في غده؛  
ومن كانت شكواه فرط الحس، وحدة الشعور، وجحود الناس  
وكان يشكو دنيا يتقدم فيها المحبين، ويتأخر الجواد للكريم،  
دنيا فسدت فيها كل شيء حتى غدا عقلاؤها ينتظرون الساعة  
من كان كذلك، أدرك حقيقة حاله، وفهم مغزى مقالته،  
ولم يلنى مع اللائعين، ولا كان علي مع العداة الحاسدين

\*\*\*

وكم قائل لي: ألا تنسى هذا الماضي وتسترخ من ذكراه؟  
ألا تدع المستقبل وتطرح التأميل فيه؟ ألا تعلم أن ما مضى فات  
والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها؟ فأقول: بلى، إنني  
لأعلم ذلك، ولكن أين السبيل إلى النسيان؟  
وإذا أنا نحييت كل شيء، فكيف أنسى أياماً عشتها لم أكن  
فيها الطائر المقصوص الجناح، ولا النمنم الذي قصفته الرياح،  
بل كنت أواجه المسافة أستند إلى الجذع المتين، جذع السنديانة  
الراسخة، وأطير فوقها بجناحين قويين، فهاض الدهر جناحي،  
وكسر جذعي، حين أقعدني أمي، وصيرني عرضة للعواصف،  
وجماني معها كالريشة لا تستقر على حال من الفلق والدعر  
والاضطراب ...

وكيف أنسى أنه لو عاش أبي العالم الوجيه ذو المرتب الضخم  
ولم تخترمه النية شاباً، لاحتمينا به من كيد الحياة، وإنشأنا  
في ظله كما ينشأ للفرع اللين وسط الدوحة للقوية الممتدة  
الأفنان، ولما اضطرتنا إلى مواجهة الدنيا، والتمرس بتكباتها،

يقولون لي : انس ، ولكن كيف السبيل إلى اللذيان ؟  
وكيف أنسى أبي في مصر ، مصر التي عمت صورها السنون  
من نفسي ، فلم يبق منها (وأسنى ا) إلا صورة ميدان باب الخلق  
بجازي في غدوى ورواحي ، وحديقة الاستئناف التي كنت أتأملها  
وأنا في المطبعة (السلفية) عند خالي ، والتي استودعتها من  
للمواطن عداد أوراقها وأزهارها وحببات ترابها ، ودار للكتب  
التي كان بها الشاعر الكبير حافظ رحمه الله ، وشارع محمد علي ،  
والعتبة الخضراء (الضيقة) التي لم تكن تخلو يوماً واحداً من  
ميت مدعوس ، وصورة زقاق حوله أتفاض مهمة ومنازل حقيرة  
بالية ، كنت أضرب به كل يوم في ترام السيدة ، في ذهاني إلى  
دار العلوم وعودتي منها ، يسمى شارع الخليج ، زعموا أنه صار  
اليوم شارعاً عظيماً ، وصار فيه بنيان ... وجسر الزمالك حيث  
كان يطيب لي الوقوف بإزائه كل مساء ، أتبع بصرى الشمس  
الغاربة ، عثلي أرى فيها صورة بلدي دمشق ، فلا أرى إلا بريق  
الشمع الحاد يتكسر خلال الدموع التي تملأ عيني ، دموع ابن  
الغمرين ، وقد هاج في نفسه للشوق الذي يسميه لاسرتين «مرض  
السما» لو كان في السماء أمراض

وصورة حديقة الجيزة ، التي كنت أقضي فيها الساعات  
للطوال ، آنس بحوشها وهوامها ، وصورة بستان إلى جانبها  
فيه عمال يبنون ، قالوا : وقد تم البناء ، وصار شيئاً عظيماً يدمى  
جامعة فؤاد الأول ، والله أعلم بصحة ما قالوا

صدقوني إذا قلت لكم إنني لم آسف على شيء مما صنعت  
في حياتي أو تركت أسنى على ترك مصر ، ولا أطمح في شيء  
طلمي في العودة إليها والحياة فيها ، فهي التي سدت خطواتي  
في طريق الأدب ، وهي التي علمتني ، وهي بلد أسرتني ، وهي التي  
جعلتني قبل اثنتي عشرة سنة أكتب وأنشر الفصول في أكرم  
المجلات ، حين كان هؤلاء المحترمون من تلاميذ الشيخ مارسية  
على مقاعد المدرسة الابتدائية

أفليس مجيباً أني على حيي لمصر كنت في نظر بعض زملائنا  
المدرسين المصريين في العراق ، عدو المصريين رقم (١) ؟  
سامح الله زملاءنا هؤلاء ، وغفر لهم ما كادوا لي ومكروا بي ،  
وغفر لي ما آذيتهم بلساني السليط !

ومعرفة لؤم أهلها ، ونحن فتية صغار ، أطهار القلوب ، مبرؤون  
من الذنوب ، لا نلبث حتى نتلوث بأوضار الكيد والسكر ،  
وتتلقف مبادئ (علم الحياة ...) كما يتلقف الصبي المتخلى مبادئ  
(فن الجريمة) في السجن الأول ، فلا يخرج منه حتى يحمل  
شهادة البكالوريا في الإجرام

وكيف أنسى ما نثرت من قطع قلبي ، وفلذات كبدي ،  
في أرض الله الواسعة التي لا ترحى حتى المواطن ، ولا تحفظ  
عهد القلوب ، في صفح قاسيون الحبيب ، وفي للنوطة الفناء ...  
وفي حرش بيروت الذي عيس صنوبره ميسان اللينيد  
الحسان ، وقد خرجن متبرجات ، ينظرن إلى مياه البحر بيبون  
لها زرة مائه ، وله سرارها بصد قراره ... ذلك الحرش ...  
لي تحت كل شجرة منه ذكرى لا يدريها إلا الله وقلبي وذلك  
القلب الذي سلا وقلبي ... وما سلوت ولا قلت ، وما أذعت له  
سراً ولا أفشيت

وفي طريق صيدا ، كم صببت من المواطن ، واستودعت  
من الذكر ؟ سلوا تلاميذي طلاب الكلية للشرعية في بيروت ،  
ألم يشهد لنا هذا الطريق أنا كنا خير من مر به من إخوان  
متوادين ، قد جمعت صداقتهم قلوبهم فزجتها كلها ، ثم قسمتها ،  
ثم أعادتها إليهم ، فماشوا جميعاً بقلب واحد ، والأصدقاء يمشون  
بقلوب شتى

هؤلاء الإخوان الذي وفيت لهم فوفوا لي ، وأحبيبتهم  
فأحبوني ، ورأيت منهم لما مرضت فيهم ما لو تخيله القصص  
الأديب لاستكثر وعداً مبالغة من اللبانات

وفي العراق كم خانت من حياتي ، وما الحياة إلا خفقات  
للقلوب ، وتردد الأنفاس ، ومظاهر المواطن  
على طريق الأعظمية ، وفي الكرخ الأقصى في حي الجميفر ،  
وعلى الجسر وفي الأعظمية ، وفي البصرة ، وفي كركوك ، يقع  
أعزة على ، وقوم أحبة إلى ، لولا خوف من ألا يصدقوني لحلفت  
لهم أنه لم يطب لي بدمع هيش ، فهل يكتب الله عودة لتلك الأيام ،  
فيجتمع الشمل ، ويلتئم الصدع ، وتلتقي الذكريات بالآمال ؟

إني أسأل الله ، فنبشوني ، هل مد يديه أديب بندا الأستاذ  
الأثرى ، فقال : آمين ؟

وأهناً ، لأنى وجدت الذكاء يدفع إلى الألم ويؤدى إلى الشقاء ؛  
وأنى لأهمل القراءة عمداً كي أنسى ما علمت فأغدو جاهلاً فلا ألم  
إن تقدمنى الجهال من أمشالى ، ولا ألوم الحياة على ظلمها لى ،  
فلا أستطيع ، وأرانى مدفوعاً إلى الازدياد من هذا العلم ... كأن  
للقدر يسوقنى بمصاه إلى الاستكثار من القراءة فأزداد بذلك علماً  
فأزداد بالعلم المأ حين أرى علمى وبالأعلى وأرى الجهال يسبقونى  
ويسرفون منزلتى ؛ ولو أنى استبدلت بإحياء الليالى فى المطالمة  
والدرس وثنى الركب بين أيدى العلماء رحلة واحدة إلى ( تلك )  
الديار أعود منها بمد شهرين بشهادة فى اللغة للمربية لم تكتب  
سطورها بالمربية لكان ذلك خيراً لى وأجدى على من علوم  
الأرض كلها لو حصلتها

ولكنى كرهت أن أتوكل فى سيرى إلى غايى على غير أدبى ،  
ونزهت نفسى عن أن أجعل عمادى ورقة سار يحملها للنبي والى  
والجاهل واللعن الذى يسرق مباحث الناس ويسطو على آثارهم  
إن عمادى هذا القلم ، وإنه لمن من أغصان الجنة لمن  
يستحقها ، وإنه لحطبة مشتتة من حطاب جهنم لمن كان من أهل  
جهنم ...

ولكن ما الفائدة من هذا الكلام ؟  
ما الفائدة وقد ولى ربيع حياى ، وأدبرت أياى ، واستبدل  
قلبي بالأصيل المذهب ليلاً جالك للسواد ؟ لقد شخت حقاً ،  
وصرت كالمجوز الذى حطمه الدهر ، ولجمه فى أولاده فسيره  
فى مواكب وداهم للباكية ، وما أولادى إلا أمانى ، وما قبور  
الأمانى إلا القلوب اليانسة

فيا رحمة الله على تلك الأمانى !  
يا رحمة الله على الأيام التى كنت فيها غراً مفلاً أصدق كل  
خداع كذاب يزعم أن فى الدنيا فضيلة وخلقاً وأن قيمة الإنسان  
بما يملكه منها ... لقد خدعنى الملمون والأدباء ، فلماذا أخدع  
تلاميذى ؟ لماذا لا أقول لهم : إن المكر والكذب والنفاق هم فى  
شرح الحياة فضائل ، فأعدوا قواكم لإصلاح الموج من شرائعهما ،  
أو فانزلوا على حكمهما ، فخطبوا بلسانها ، وادخلوها من بابها ؟  
إن المرين والملمين سينكرون ذلك ويكبرونه ويرونه إفساداً  
لعمول الناشئة ، فليكن إذن ما يريد المرين والملمون !

وكيف أنسى ما أضمت على نفسى من خير ، وما عرض لى  
من فرص فا افترتها ؟

إن من رفاقى فى كلية الحقوق من هو اليوم من كبار المحاميين  
الذين يشار إليهم ، ومن ينال على وقفة واحدة فى المحكمة مائة  
جنيه فى دمشق للفقيرة ، فلماذا أعرضت عن المحاماة لم أشتمل بها ،  
وأقبلت على مهنة آخذ فيها خمسة جنيهات على مائة درس ألقىها  
على أربعين طالباً ، يحتاج إسكاتهم وضبطهم إلى شرطيين مسلحين  
بالهداق الرشاشة ...

وإن من رفاقى فى الثانوية من هو اليوم ناظر ثانوية كبيرة ،  
وأنا أستاذ معاون ، فلماذا درست الحقوق إذا كانت الوزارة  
لا تترف أقدار الرجال إلا بما يحملون من شهادات الاختصاص ،  
وكان صاحب اللسان فى الحقوق لا يعد أديباً فى نظرها ولو كان  
شوق زمانه ، أو رافى أوانه ، وترى صاحب اللسان فى الأدب  
أديباً ولو كان أعيا من باقل ، وأجهل من جاهل ؟ ...

وكيف أنسى أنى كنت من عشر سنين أورد طلاب دمشق  
كلهم ، وأغاض بهم فى ميادين السياسة ، وأنى لو شئت لكنت  
نائباً من زمن طويل . إن للناس لم ينسوا ذلك فكيف أنساها أنا ؟  
إنهم يعلمون أن فى قيصى خطيباً ما يقوم له أحد فى باب الانجبال  
والإمارة ، وإيقاظ المم صب الحم ، ولكن من الناس من  
يعقل الحسد ألسنتهم عن شهادة الحق

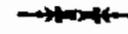
أستغفر الله فما أحب الفخر ، ولكنى اضطررت فقلت ،  
وهل أسكت إذا سكت للناس عن بيان حق ؟  
إن للمظلوم كلمة وهذه إحدى كلماتى ، فإن كانت نقرأ قديماً  
كان الفخر من فنون الأدب العربى ، وإلا فعلى ذكرى وتاريخ  
لأخلاق للناس وأطوار المجتمع

وكيف أنسى أنى بين ماض أضمت فرسه ونسيت ذكرياته  
وقعدت فيه ذخراً من المواطف الجياشة والشعور المضطرم ،  
وحاضر بددت أيامه بالرجوع إلى الماضى ، وصرفت بكره وعشاياه  
فى نبش الذكريات والبحث فى أطلالها عن الجواهر والكوز ...  
فما كان إلا أن دفنت فيها كثر حياى وجوهر عمري - ومستقبلاً  
لم أعد أرجو منه شيئاً ، لأنى بنست من أن يأتينى منه خير  
ومن يصدق أنى أتمنى لو كنت غيباً جاهلاً ميباً لأستريح

كلمة أميرة

## من عجائب الاجتهاد

« لناقد أديب »



كتبت عن عجائب التحصيل والزوية والاجتهاد في مسرحية مفرق الطريق ، فكان من عجائب الفهم الذود عنها بمثل ما كتبه الأستاذ طليات . وهو يمتدح عن المؤلف بقوله : إن الماني والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس ، وإنما العبرة بطرائق معالجتها ، إلى آخر ما كتبه في هذا المعنى وقد حمدنا للأستاذ هذا الرأي لأنه اعتراف مهذب بما كتبناه عن هذه المسرحية المصنوعة من قصائد الشعراء ، لولا حديث عن المذاهب الفلسفية موسوم بطريقة المؤلف وأسلوبه في اللف والدوران ، رأيت أن من حق للقراء على ألا أخذهم به عن الموضوع ، وألا أخدع نفسى به عما سقت الدليل للقاطع عليه من كلام المؤلف نفسه ، وكيف أن مسرحيته (تخرجة) في الفلحفات وحشو من عنو للتأليف

فلما تحدث الأستاذ للكاتب عن « كانت » و « برجسن » قلت : إن غاية هذين المذهبين في الفلسفة هي الوصول إلى المعرفة وحقائق الأشياء وما وراء الطبيعة ، وإن الخلاف بينهما في الأداة

أو الوسيلة ، فإذا كانت بصيرة « برجسن » قد عملت عملها في المسرحية كما يقول الأستاذ طليات ، فإن اللقمة الباردة التي تدور حول فلسفة « كانت » قد عملت عملها الواضح في هذا الحبل ، وأبرزت أثرها اللعوس حتى طمرت المسرحية بثلوجها . وقلت أيضاً إن بصيرة برجسن تستعين بالمقل وليست ضرباً من الهذيان الذي يضطرب في جوانب المسرحية ، ودلت على هذا الخلل فمرضت للمؤلف كلاماً بنصه ، فإذا هو مذهب فلسفي آخر ، وإذا هذه المذاهب الثلاثة تتلاقى على غير هدى وإتقان ، ويقوم إلى جانبه رأي آخر يقتدر فيه للكاتب عن المؤلف في اقتباسه صورة الصراع بين العقل والشعور فيشير إلى ذلك وإلى الصراع بين المادة والروح ، ويعرض أسماء بيراندللو وإبسن وشكسبير وراسين ؛ فرأينا أن نكتفي بواحد من أولئك الأعلام نضمه إلى كانت وبرجسن وللسوليزم إرضاء للأستاذ طليات وتنجيحاً لمنطقه ؛ فإذا هذا الخليط المعجيب مصدر إزعاج للكاتب ، وإذا به يتهمنا بما لم نقله إلا إرضاء له وإعجاباً به وهو ينسب بما يظن فيه النجاة من هذا المضطرب

وجاء للكاتب في مقاله الأول يقول : إننا حاولنا أن نقرب المسرحية من قصيدة العقاد فنسبنا تصميم غلاف المسرحية إلى بشر فارس وهو من صنع فنانة باريسية ؛ فقلنا : إن في هذا الرأي المتدبر الدليل كل الدليل على صحة ما ذهبنا إليه ، لأن لفنانة البارزبة بعد أن قرأت هذه المسرحية المعجبة وهضمتها وتأثرت

بظهر الخيب أن يصحح الله عزيمتي على ترك الأدب ، أو ينقص من شقائي به ؟ لقد أعطيت عدة الأديب ، ولكن الناس آذوني حتى أهمت عدتي فأسلتها إلى الصدا ، فأكلها ، ففانيت غير مأسوف عليها ، لا يأسف للناس لأنهم هم الأثني أفنوها ، ولا آسف أنا لأنني لم أنل منها خيراً

فلا يقضب للقراء إذا أنا ودعت الأدب بالتحدث عن نفسي ، فإنما أرثيها قبل موتها ، أرثي مواهي المظلة ، لقدمت ، فدعوني لا تؤذوني بالانتقاد البارد ، أذكروا محاسن موتاكم ، وإذا لم تكن لهم محاسن فمفوا عن ذكر مساوئهم

ولا تنفخوا على أخيك « نفة » يزعج بها عن صدره هما ثقيلاً  
هو الطنطاري

يا رحمة الله على تلك الأيام ومن بيدها إلى ؟ من يرجع إلى تفتي بالحب والطمثاني إلى الكتب وسكوني إلى الناس ؟ كنت أرى الحب أساس الحياة ، عليه قام الكون ، وبه استمر الوجود ، وكنت أومن به فمدوت لا أومن إلا بالبنف ، وصرت أحب أن أبنف ، وأبنف أن أحب فن يدلني على مصنف في أساليب البنف حتى أتقنها وأفهمها فأبنف للناس كلهم ؟ أبلغ الجفاف في القرائح والجذب في المقول ألا يصنف كتاب واحد في (البنف)، وقد ألف المستغناء ألف ألف كتاب في الحب ؟

لا ، بل من يرشدني إلى الفرار من مهنة الأدب وللتخلص من الحب والبنف وللمواطف كلها ؟ من يحسن إلى فيدهولي

من للتعبير المباشر الصريح دون إيهام أو إيهام ، وضربنا لذلك  
المثل بالمقبرة البحرية

وعمن للكاتب في التطبيق الأعمى ، فيمكس على نفسه  
للغاية إذ يصعد إلى الثلج صريداً خلاص النفس من ألم الإحساس  
للشعري قياساً على الفكرة التي رضى للمقاد إليها بالثلج صريداً  
« الإدراك المجرى » فأخذنا عليه اعتسافه في التطبيق على « النفس »  
هكذا إذ يجرها بطريقة « استبدادية عرفية » حظها المقصوم  
المحتوم من للشعور بالذلة أو للشعور بالحياة

ذلك شأن المسرحية وشأن المدافع عنها ، وقد عز علينا أن  
ينحونه التوفيق في محاولاته العجيبة في نواحيها الأخرى ، من ذلك  
أنه انتهج طريقة الدائرة فأسرف على نفسه حين تكلم عن حظ  
الأدباء من الفلسفة وما يجب أن يأخذوا به أنفسهم ، وتلك بديهية  
لا خلاف عليها ، وإن كنا نمج له بعد ذلك حين أخذ نفسه  
بالاعتذار عن الأستاذ للمقاد قائلاً : « لا لوم ولا تريب على أستاذنا  
المقاد أن يورد قصيدة من شعره تحمل في طياتها نزعات فلسفية  
لمدرسة معروفة » كأنما المقاد قد أتى بهذا ما يباب ، ولكنه الخلط  
وبجرد الكلام بما لا يجدى في دفع الإحكام

وزعم الأستاذ طلبات أننا قلنا إن المذهب الرمزي في الأدب  
ليس إلا ضياعاً كثيفاً من الإيهام والإيهام ، وتلك دعوى باطلة  
مردودة لم تقل بها وإنما هي من بدائع تخيلته ، وهو يمود في مقاله  
الأخير إلى بصيرة برجس بكلام لا يخفى مغزاه على المشتغلين بالأدب  
والفلسفة ، ولقد تجت له وإيم الحق وهو يشفق « أن تصوخ قدمه »  
فينكر للفلسفة على « إيسن » بحجة جريئة هي أنه « ليست له  
مدرسة فلسفية بما لها وحدودها » ورحم الله فلسفة الاجتماع ا  
ولست من أصحاب الدعوة السياسية تزيد أن نؤلب بها الجماهير  
أو نقود الدهماء ، وإنما نتحدث إلى اللعول والقلوب ونسوق الدليل  
ونأتى بالبرهان ، وإنما هو حديث الأدب الخالص الذي يتناول  
الدرس والاستقراء بالبينات دون للشبهات ومرض لآثار الأدباء  
دون ذواتهم

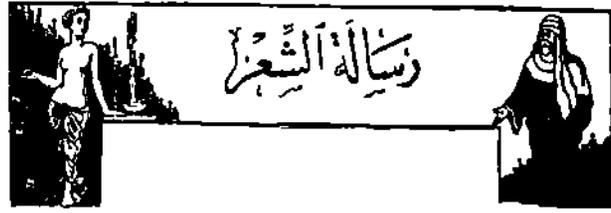
فالتدنية لا اعتبار لها في هذا المجال ، وهي لا ترفع من قدر  
الكاتب إلا بمقدار ما يصيبه للقراء في بحثه من الأدب الخالص  
والفكر الناضج والعلم الصحيح نادر أريب

بها وأرادت إبراز فكرتها مصورة ، لم نجد غير قة باردة متارة ،  
وطريق ساعد بين الصخور ومنحدر إلى غور ؛ وإذا قصيدة  
للمقاد مصورة على غلاف المسرحية ، وإذا المؤلف في ختام مسرحيته  
يقول يمثل ما قال به الأستاذ للمقاد في ختام قصيدته ، وهو يدعو  
إلى للزول والانهيار وترك هذه الثلوج

وقد يلد الحاي المسرحية أن يسوق دعواه بأنه يقرر مذهباً  
فلسفياً فأنكرنا عليه هذه الدعوى ، لأن المسرحية جاءت خليطاً  
من فلسفات شتى كما أسلفنا للقول على ذلك ؛ وهكذا اطرد  
سياق المسرحية في أسلوب من للتصنف إلى غير هدف صميم من  
المذاهب للفلسفية التي اقتحم عليها فظلمها وإن كانت قد تأتت  
عليه فلم نزل إلى مستوى للقضية البسيطة التي يمالجها ، وهي  
إحدى قضايا النفس البشرية المشتركة بين جميع الأحياء ، ولا  
يستعنى فهمها على الدهاء

هذا من حيث للفكرة انفاذا من ناحية الأسلوب ؟

لقد نهج المؤلف نهجاً ساذجاً في الاقتباس : فهو من الجهة  
الواحدة قد اقتطع طريقة الأستاذ المقاد في إيراد فكرته بقصيدة  
للقمة للباردة ، فمالج موضوعه على نفس الأسلوب ساعداً إلى للقمة  
الثلوجة وهابطاً إلى للنور المظلم ، ولو أنه كان مبدعاً في نهجه  
لاتخذ شيئاً آخر وراح يتناوح جنبات فكرته بين الشاطئ المؤلفين  
وبين مضارب الصحراء مثلاً ! بل إنه آمن في هذا الاقتباس  
للغريب المريب فراح يمرض فكرة الصراع بين العقل والقلب  
على النمط الذي نهجه للشاعر على محمود طه في قصيدة قلبي إذ سب  
مسانيه في قالب ألفاظها دون أن يصوغها في قالب آخر ؛ فهو يعمد  
إلى قوالب للنار والظلمة والاحتراق دون أن يلجأ إلى صيغ جديدة  
تضفي على فكرته مسحة الأصالة شأن من يمتازون بشخصيتهم  
الأدبية المستقلة ، فضلاً عن ذلك كله فقد أثقل المؤلف بأسلوبه  
على مذهب الرمزية ، وطنى عليه حتى مسخ طبيعته وشوه فضيلته  
وأفسد غايته . ذلك أنه تناول على هذا المذهب إلى حد اللوامعة  
بين الطبوع والمصنوع ، ولقد وضحنا أن الأصل في الرمزية أن  
تنشأ مع النفس وفي التفكير ، لأنها للتعبير عما وراء الطبيعة ،  
أو ما وراء أفق للشعور بما تعجز الألفاظ عن إيابته والإنصاح عنه ،  
بينما تمالج المسرحية قضية بسيطة ومماني طادية يجب أن تلزم مكانها



## ثلاث عشرة حجة

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

مررت بنا الأيام وثباً سلماً كما شامت وحرّاً  
لا أحسنت حرباً ، ولا في السلم ، طاب السلم غيباً  
صممت لجيشها معاً غصبا كما اشتها ، وغلبا  
فاذا الحوادث أقبلت أو أدبرت ، فأطلق نهي  
العلم من أعوامنا يحوى - جزاه الله - حنفا  
وثلاث عشرة حجة قلبت طباق الأرض قلبا  
سكها عن الدنيا وما صنعت بها شرقاً وغربا  
سكها عن الوادي وما صنعت به دفعا وجذبا  
لا ضير بالماضي إذا دار الزمان قطاب عقي

فألا من الذكرى ، وكم فال طوى في النيب حنبا  
ومداية منها وقد تهديك في الظلاء قطبا

يا سمد يرمك ، فاستجب قلباً لمن بدعوك قلبا  
جرود عزيمتك التي أغنت عن الصمصام غربا  
وابعث نصيحتك التي أغنت عن الترياق طبيا  
وانشر فرائدك التي أغنت عن العتيان كسبا  
هذا نذير الشرهبا وإلى حى مصر اشرابا  
وسرت إلى إفريقيا عدوى الجهالة من أربا  
طمعوا بمحوزة أمية ظنوا لها الغفلات دأبا

إن قيل لا خطر غفت عيناً ، وتاهت عنه لباً  
أو قيل لا طمع فلا طمع ، وقررت مصر ميربا  
أو قيل يا أمم انهضى نهضت وراحت مصر تآبى  
تجسرى الخاوف حولها وتخاله الأمن استتباً

يا سعد أنت إمامها فاهتف بها تملأ وشعبا  
صدع الشقاق صفوفاً وجمعتها بالأمس حزبا  
فاجمع جوانب رأبها شعباً على الحسنى فشعبا  
قل أتمرو أعلى يداً من عايدى الإنسان رهبي  
ذلوا فلما استرسوا تاهوا بقيد الذل محببا  
وإذا أتوا عدد الحصى فرماكم أوق وأزبى  
جذب من الصحراء أذ لي من جحيم الرّوض تروبا  
ظان يشرب كل من يقوى بكم أكلا وشربا  
وقل استعدوا واسلكوا في مفارق الهدى دزبا  
لا تصغفروا هولاً ولا تستكبروا الأهوال رعبا  
وتبينوا أين الفريء ق الحز فالتخذوه صحبا  
دار الدين سببهم حرية - هيات نسبي  
ضنوا بمصر على العدى وعلى الذى يحتمل خببا  
وحذارى دعوى معشر لم يؤمنوا بالحق رببا  
لا رحمة عرفوا ولا عرفوا لغير الشر حبا  
القدوة العليا لهم وحش على الصدوان شبا  
عقدوا على البغى العرى تبت يد الباغى ، وتبأ

يا آل مصر تذكروا سعداً فنى التذكار قرى  
إني استعرت يمانه فعلى إن قصرت عني  
إلا اللباب ، فإنى فى الرأى ما أخطأت لباً  
سعداً إذا أمضى مضى وإذا دعاه الهول لبي

عباس محمود العقاد

## خواطير في الحرب

الأستاذ محمد عرفة

ذكرنا في كلمة سألنا أن الترف مفسد للأمة ، وأن التفتش مقوّم لها ، وأن الترف نتيجة طبيعية للفنى ، وأن التفتش نتيجة طبيعية للفقر . وزيد الآن أن نعم لماذا كان الترف مضمعا للأمة كاسراً لحدّها ، ولماذا كان التفتش مقوّمًا لها . لعل ذلك يرجع إلى ما يأتي :

١ - إن المترفين لا يباشرون حاجتهم بأنفسهم بل يتولاها لهم غيرهم ، والمضو الذي لا يعمل يفقد قوته ، وربما مات . لذلك تفضل أعضاءهم وتفتق قوتهم ؛ وقد قال بعض العرب : ما وددت أنى مكفى المؤونة . قيل له : ولم ذلك ؟ قال : أخاف عادة العجز . أما الفقراء فهم لحاجتهم يتولون الأعمال الجالبة للرزق فتقوى بذلك أجسامهم وعقولهم ، فبث ترى قوماً يعملون رأيت السواعد القوية ، والصحة والمافية والمقول الحصبة والأفكار المنتجة . وحيث رأيت قوماً مكفياً المؤونة رأيت الأجسام الضميعة والفتور العقلي

٢ - إن المترفين ينتمسون في الشهوات ، ويكرهون المشقة ، ويخافون الخروج من عيشة الدعة ؛ فهم دائماً مغلدون إلى الأرض ، لا يرفنون رأساً ، ولا يسمون إلى مكرفة ؛ فإذا رأوا طريقين : أحدهما شاق وعلى رأسه العزة ، والثاني سهل وعلى رأسه اللذة ، اختاروا السهل للطريقين ونفوسهم دائماً تكذبهم وتختار الأسهل ، وترم أنها اختارت ما فيه الخير ؛ فإذا توقفت حياتهم وعزتهم على حرب يخوضونها عللوا نفوسهم بالأمان وسوفوا ، فإذا اضطروا إلى خوضها ورأوا طريقاً للنجاة منها ولو بعود كاذبة يندلها العدو ، سدقوا هذه العود وخذعوا أنفسهم .

أما غير المترفين فهم لا يباليون للشدائد لأنهم أبقاؤها ، فإذا رأوا طريقاً للمعالى سلكوه ولو كان فيه الموت جاعماً ، وإذا رأوا طريقاً للمخازى نهذوه ولو غرست فيه الورود والراحين

من أجل ذلك ترى الذين يخافون عاقبة الترف يكلفون أنفسهم أعمالاً جسدية شاقة لتقوى أبدانهم

روى أن عمر بن الخطاب قدم إليه فرسه وعليه الزكاب فتحناه عن فرسه وكان يقفز من الأرض ، فإذا هو على ظهر فرسه ، فكأنما خلق عليه .

محمد عرفة

نجرى ١

## مرثية زهرة !!

« عز الشاعر في رسائلها المزينة على زهرة  
قابلة عادت بها سنين الفراق وهي هامة مفطورة  
ينفع رفاتنا مطر الفناء ١١ »

يا ابنة الماضي وما الماضي سوى نَشِ أَحْلَامِي إِلَى الْقَبْرِ يَسِيرُ  
إِنْ يَكُنْ مَاتَ بِدُنْيَاكَ الْهَوَى فَهَوٌ فِي دُنْيَايَ لَفْحٌ وَسَعِيرُ  
فِي دَمِي مِنْهُ عَذَابٌ رَجَوِي وَحَلَى الْأَنْفَاسِ وَجَدْتُ مُسْتَطِيرُ  
وَحَلَى أَبْيَاسِ السُّودِ فَتُورُ كَالَّذِي نَفَضَهُ الْمَوْتُ عَلَيْكَ  
فَأَسْأَلِي عَنْهُ تَنَاجِيكَ الْمَطُورُ إِنْ يَكُنْ فِيهَا بَقِيَّاتٌ لَدَيْكَ  
تَمَالُؤُورَاتِكَ فِي الصَّمْتِ حَزَانِي تَاكِلاتِ الْعَطْرِ شَلَاءُ الرَّفِيفِ  
غَارِقَاتِ فِي الضَّمْنِ تَبْكِي حَنَانًا وَبَكَاءِ الصَّمْتِ سُلُورَانِ الضَّمِيفِ  
أَتْرَاهَا نَقَلَتْ عَنِّي الْهَوَانَا ؟ وَاشْتَعَارَتْ شَجْنَ الْقَلْبِ الْهَيْفِ  
أَمْ تَرَاهَا شَرِبَتْ كَأْسَ الْتَرْفِيفِ حِينَمَا طَافَ بِهَا سَاقِي الرِّيحِ ؟  
حَشْرَجَتْ مِنْهَا وَذَابَتْ فِي شُفُوفِ خَضِبَتْ أَسْتَاذَهَا كَفَّ الْجِرَاحِ  
اذْكُرِي يَا زَهْرَةَ الذِّكْرَى غَرَامِي وَهَوُ دُنْيَايَ وَدِينِي فِي الْحَيَاةِ  
يَوْمَ فَتَحَتْ لِصَفْوِي وَابْتَسَامِي وَتَطَهَّرَتْ بِنَارِ الْقُبُورَاتِ  
وَأَنْتَشَى عَطْرُكَ مِنْ سِحْرِ الْهَيَامِ فَذَلَا أَحْلَامَ نُسُكٍ فِي صَلَاةِ  
طَاهِرِ الْأَنْفَاسِ عَفْ النَّفْعَاتِ أَيْنَ مِنْهُ رَشْفَةُ لِظَامِيَيْنِ ؟  
أَنَا وَالشُّعْرُ وَحَسْبِي وَفَتَايَ قَدْ حُرْمْنَا كَأْسَهُ حَسَنَ سِينِ  
قَدْ حُرْمْنَاهَا أَوْ لَمْ يَبْقَ لَدَيْنَا غَيْرُ طَيْفٍ مِنْ رُقَاتِ الذِّكْرِيَاتِ  
كَلَّا أَوْ تَمَّا إِلَى السَّامِي يَكْتَبِيَا وَدَفْنَا حَظْلَنَا فِي الْبَسِيرَاتِ  
ثُمَّ عُدْنَا وَالْهَوَى بَيْنَ يَدَيْنَا كَجِنَازِ الصَّمْتِ بَيْنَ الْفَلَوَاتِ  
عُودَةَ الْعَطْرِ لِنَلِّكَ الْوَرَقَاتِ هُوَ حَيٌّ وَهِيَ فِي الْأَكْفَانِ غَرْقِي  
فَأَزُقِي يَا زَهْرَةَ الذِّكْرَى تَمَانِي نَضَبْتُ رُوحِي وَذَابَ الْمَرْشُوقَا

محمد حسن اسماعيل



في الفن والتربية

## مدرس الرسم للأستاذ عزيز أحمد فهمي

وأجهنا بخطوطه بمد ذلك إلى نقطة تقع فوق هذه القاعدة وتلتق فيها هذه الخطوط ، وإذا كان للشكل تحت مستوى للنظر جعلنا جزءه الأعلى قاعدته وأجهنا بخطوطه بمد ذلك إلى نقطة تقع أسفل هذه القاعدة وتلتق فيها هذه الخطوط...

أرأيت الآن أتى أحفظ الرسم عن ظهر قلب... وليس هذا فقط... وإنما قال لنا أيضاً: إن الضوء إذا كان آتياً من اليمين فإن الظل يكون في الشمال، وإنه إذا كان آتياً من الشمال فإن الظل يكون في اليمين... فإذا تريد أكثر من ذلك...

— لا شيء... وإن مملك لم يقصر، وكان عليك أن تطبق في رسماك هذه القواعد فتنتجج...

— صدقتي أتى أطبقها، ولكني لا أدري لماذا لا أتجح في الرسم... لقد كرهته حتى لم أعد أطبق دروسه لماذا؟

— أليس في الدنيا شيء نرسمه غير الباذنجانة والطربوش والثقل والصندوق المفتوح والصندوق المغلق... كل هذه أشياء ثقيلة للظل مثل صاحبها ومن صاحبها؟

— الأندى الذي بملنا الرسم - يدخل للفصل ومعه المنظور ويضعه أمامنا، ويقول لنا: هو الآن فوق مستوى النظر أو تحت مستوى النظر، والضوء آت من اليمين أو الشمال، فارسموه، ثم يبدأ يطوف بنا ليصحح لنا الأشكال السابقة، وليأق نظرة على الشكل الجديد، وليس عنده غير الضوء والظل ومستوى النظر... وماذا كنت تريد منه أكثر من ذلك؟

— أنا؟... لا أدري، ولكن ابن خالي يقص لي قصصاً لتبذة عن معلم الرسم الذي يملهم، يقول لي إنه رجل خفيف العقل، وإنه يضحكهم كثيراً، وإنه يخرج لهم من جيبه لبا غريبة؛ ويقول لهم: أنظروا إليها قليلاً. ثم يقول لهم: أغمضوا أعينكم قليلاً وارسموها بأصابعكم في الهواء وأنتم منغمضون، ثم يقول لهم: افتحوا أعينكم وارسموها بالأقلام على الورق. وقد أصبح ابن خالي الآن يستطيع أن يرسم رسماً حسناً أحسده عليه - ولماذا لا تتبع أنت هذه الطريقة...

— إنني لم أر هذه اللب؟

لي سديق زرته، فرأيت ابنه يرسم باذنجانة؛ فسألته لماذا يرسمها فقال لي:

— أستمع لامتحان الملحق

— وهل وقعت في الرسم؟

— نعم

— وحده؟

— وحده

— ممكن. على أي حال الرسم هين، وتستطيع بالثابرة الخفيفة أن تتقنه بالقدر المطلوب منك

— إنني أرسم كل يوم مائة باذنجانة، ومائة قلة، ومائة طربوش، ومائة صندوق مفتوح، ومائة صندوق مغلق؛ ومع هذا فإن أبي لم يرض عن رسم واحد مما أرسم، فاصنع في أنت مبروفاً، وقل لي كيف أرسم وكيف أتقن الرسم

— ألم يقل لك معلمك الذي كان يملك الرسم في المدرسة كيف ترسم

— قال كثيراً، ولا زلت أحفظ ما قال حتى إنني لأضمن للنجاح في الرسم لو أنهم امتحنوني فيه امتحاناً شقياً

— أسمى ما قال لك معلمك...

— قال لي يا سيدي: إن الشكل إما أن يكون في مستوى النظر وإما أن يكون فوق مستوى النظر وإما أن يكون تحت مستوى النظر، فإذا كان في مستوى النظر رسمناه مستقيماً، وإذا كان فوق مستوى النظر جعلنا جزءه الأسفل هو القاعدة

أو بتحويل خارج المدرسة ، وكم من معلمى الرسم في مصر لم عمل يعرفه الجمهور أو لا يعرفه ...

— إن لمعلمى الرسم آمجاداً ، وقد أقام آمجادهم معرضاً زاره وزير المعارف منذ شهر وأثنى عليه ...

— لم يكن فى هذا المرض إلا أشكال بعضها تحت للنظر وبعضها فوق النظر وبعضها فى مستواه . ولم يكن المقصود من هذا المرض إلا أن يلتفت وزير المعارف إلى معلمى الرسم فى عوام قليلاً لأنهم فى الحقيقة مغبونون ومظلومون أكثر من غيرهم من المعلمين

— إذن فقد أهجبتك طريقة المعلم الخفيف للمقل

— من غير شك ، لأنها للتدريب الطبيعى للتصور ، والتصور

هو أول ما يتطلبه الرسم

— ولكنى لا أزال أطمع فى أن يرتقى تعليم الرسم عندنا إلى

أكثر من هذا ، حتى ترى من تلاميذنا اهتماماً بالجمال وإدراكاً له كما ترى ذلك فى أبناء غيرنا من الأمم

— أنا لا أشك فى أن الاهتمام بالجمال موجود عندنا كما أنه موجود عند كل الناس ، ولكن شعبنا لا يزال ينطلق إلى الجمال

فى مطارحه للطبيعية كلها حن إليه ... والذى ينقصنا حقاً هو التفكير فى اختزان صور من الجمال لفرع إليها كلما اشتقتنا لها ...

وقد يكون السبب فى امتناعنا عن هذا هو فقرنا وعدم ظهور الفنان المصرى الذى يخلد فى صورة من الصور منظرًا يشغاق

المصريون إلى النظر فيه باستمرار ... وأنا لا أزال أجهل هذا المنظر ...

— لا أظنه منظرًا واحداً هو الذى يجذب المصريين ، فكل

منظر يصح أن يجذبهم

— ولم لا ؟ ولكنى أظنهم لا يزالون فى حاجة إلى من يلفتهم

إلا مواطن الحمن فى المناظر الطبيعية وفى المناظر المرسومة ... وهذا من عمل معلم الرسم ، وهو لا يستطيع أن يؤديه إلا إذا كان

فناناً حساساً يشوق هو نفسه الجمال ، ويستطيع هو نفسه أن يعبر عنه ، وهذا المعلم هو الذى يجب على وزارة المعارف أن تبحث عنه

أو أن تكونه ... وأظنها قد بدأت تبحث عنه كما أنها قد بدأت

— ليست هذه اللب ضرورية ، فأنت تستطيع أن تبدل بها أى شيء ... وتستطيع أن تبدأ منذ الآن ... أنظر إلى هذه

الشجرة قليلاً . . ثم أغمض عينيك ... ارسمها فى الهواء بأصبعك ... هذا حسن ... والآن ارسمها على الورقة بالقلم ...

عال ، عال ... تكاد تكون هى ، أما كان يصح أن تقتبس هذه للطريقة من تلقاء نفسك ...

— كنت أظنها لا تنفع إلا فى اللب ...

— لا ... إنها تنفع فى كل شيء ، وهى وحدها مفتاح الرسم

... وانطلق الولد مسروراً لأنه اهتدى إلى مفتاح الرسم ،

وبقى أبوه مى وقال لى :

— أنا أيضاً كنت أرسب فى الرسم لما كنت تلميذاً

— وأنا أيضاً

— ولنا وللولد المنذر ، فالرسم موهبة من الله ولا يصح

أن نطالب به كل إنسان ، ولست أدرى لماذا تصر وزارة المعارف على أن تجعله مادة إجبارية ...

— صحيح أن الرسم موهبة ، ولكن ليس معنى هذا أن تفعل وزارة المعارف تعليمه تلاميذها ، وإنما الواجب أن تعلمهم إيادى ،

فالوهوب منهم تنكشف بالتعليم موهبته وتنصل ، وغيره يمكن بالإرشاد والممارسة من الإقبال عليه فى غير كراهية ولا تذمر ،

وليس هناك شك فى أن الرسم يربى الذوق البصرى ، وليس هناك شك فى أن كل مبصر محتاج إلى تربية هذا الذوق فى عينيه

إن لم يكن للرسم ففلملاحظة والإدراك ، وتمييز الأشياء ، وإدراك المنظورات ... وهذا هو الذى يحمل وزارة المعارف فى الدنيا كلها

على الاهتمام بالرسم وللمنايا به . وكل ما فى الأمر أننا هنا لا تزال فى حاجة إلى معلم الرسم للصحيح ، كما أننا لا تزال فى حاجة إلى

المعلمين الحقيقيين فى غير الرسم ... وقد يؤلمنى أن أقول لك إن قليلين جداً من المعلمين هم المولعون بما يملون ، وإن أكثر

المعلمين فى مصر يؤدون عملهم على أنه عمل يرتزون منه لا أكثر ولا أقل ... وإلا فقل لى كم من معلمى الأدب فى مصر أدباء ،

وكم من معلمى الجغرافيا فى مصر غادروا القطر أو المدن التى يملون فيها ، وكم من معلمى الكيمياء فى مصر انشغل بتركيب

تكونه ... فقد بدأت تأخذ معلمى الزمزم لمدارسها من خريجي مدرسة للفنون الجميلة للعليا بمد أن تعلمهم أصول التربية في معهد للتربية ...

— وهل تحسن للظن أنت بمدرسة للفنون الجميلة للعليا ومعهد للتربية ؟

— المدرسة والمعهد فيها أرى يتيمان أضمن للطرق لتخريج الفنانين والمعلمين ، غير أنهما يسمحان لكثيرين من غير الفنانين والمعلمين الوهوبين بالانخراط في سلكهما ، ويظهر أنهما لا يستطيعان أن يفعا غير ذلك ، لأنهما لو دققا للتدقيق المطلوب في الاختيار ، فأنهما قد لا يقبلان في العام الواحد أكثر من طالب أو طالبين ، وعندئذ تواجه للبلاد أزمة فنانين ومعلمين لا قبل لها بها ...

— قد يكون للتساهل مقولاً في قبول المعلمين غير الوهوبين لأن للبلاد في حاجة إلى عدد كبير منهم ، وهذه الحاجة تتجدد وتريد كل عام ، ولكن ما هو المدر في أن تقبل مدرسة للفنون الجميلة للعليا شاباً استمداًم الذي فقير ، أو عادى ؟

— ذلك لأنها مفتوحة الأبواب ، وأنها مادامت كذلك فهي تنفق على نفسها ميزانيتها الربوطة لها ، فسواء كثر الطلبة فيها أم انفضوا عنها فهي مضطرة إلى المضي في عملها ، وما دام الأمر كذلك فهي تقبل كل عام عدداً ممن يتقدمون إليها حتى لا تظن أبوابها ...

— ولما كان مستقبل هذه المدرسة مبهماً وغامضاً فإنه لا يقبل عليها إلا من يتس من غيرها سواء أكان موهوباً أم كان غير موهوب ، وهذه طريقة لا تؤدي إلى الخير بأى حال من الأحوال — من غير شك ...

— أو ليست هناك طريقة يمكن أن تؤدي إلى الخير ... — إن لم تكن هناك طريقة فن الممكن استحداثها ... نحن الآن في المدرسة الابتدائية ، ولكل تلميذ من تلامذة المدرسة ملف ، هذا الملف لا تجد فيه شيئاً عن التلميذ إلا أنه غاب في يوم كذا ، وحبس في يوم كذا ، وتغدى خبزاً قفاراً في يوم كذا . أما أخلاقه ، وأما عقله ، وأما مواهبه فهذه جميعاً أشياء لا تجد لها

أثرأ في ملفه ، بينما لو اهتمت كل مدرسة بكل تلميذ من تلاميذها ودرست أخلاقه وعقله ونفسه ، وسجلت من حوادثه وأخباره ما يدل على روحه شهراً شهراً أو عاماً عاماً ، فإن التلميذ ما يكاد يفرغ من مرحلة للتعليم الابتدائي حتى يكون في ملفه صورة ولو غامضة تحدد اتجاهه في الحياة التي هيأته له طبيعته ، فإذا اتبعت هذه الطريقة في المدرسة الثانوية فإنه ما يكاد يفرغ من التعليم الثانوي حتى يكون ملفه ناطقاً بصراحة ووضوح بالمعمل الذي لا يصح أن يختار لنفسه غيره . فهذا يثبت الملف أنه سريع الخاطر سليم المنطق ، قوى الفراسة ، صبور ، جذاب يرتاح إلى الناس والناس يرتاحون إليه ، مرشد بطبيعته إلى ما يراه لا يخفى شيئاً مما يعلم فهو إذن يصلح لأن يكون معلماً ، والثاني ذوب اللسان جرىء على المناظرة ، لبق في إظهار الحق متى يشاء وكتابه متى يشاء ، قوى الحججة ... فهو إذن يصلح لأن يكون محامياً ... وهكذا ... لو اتبعت مداوستنا هذه الطريقة فأنها من غير شك تفلح في تعليم تلاميذنا وتوجيههم ، ولكن مدارسنا لا تهتم بشيء أكثر من الامتحانات التولية وتناجيجها ، ونسبها انثوية ... فقط لاغير عزيز أصغر نسيمى

## الفصل الأول الغائب

في تجديدهم ليدركوا الموعظة

وهو معجزة أبي العلاء المعري في الشعر

لم يبق منه إلا نسخ محدودة  
فاطلب نسختك قبل نفاذها

يباع في ادارة الرسالة وثمانه ٣٠



وتساقط شعرها ، واتسخت عيونها اللامعة ، وما لبثت طويلاً حتى نفقت  
لم يساور أحداً شك في النتائج التي وصل إليها بونج ،  
بل اتجهت للشكوك نحو طريقة التنفيذ وإجراءاتها

أوشك أن يُسدل على هذه النتائج ستار التسميان ، وحاول  
الإنسان أن يدخل في روعه وقتذاك أن لا بد هناك من سر عويص  
للفهم ، ولكنه بمضى أربع سنوات على هذه النتائج أي عام ١٩٠٩  
أقدم العالم ستيب Stepp على تجارب غذائية لها قيمتها ، فهيأ  
لمجموعة من الفيران غذاء طبيعياً - غير صناعي - عادياً يحتوى  
على جميع المواد الغذائية اللازمة ، قد نُفِّع قبل تقديمه لها في  
الكحول والإثير ، وانتهت هذه التجربة أيضاً بهلاك الحيوانات  
استنتج ستيب من هذا أن وجود جميع المواد الغذائية  
الأساسية وحدها لا يكفي لحفظ حياة الحيوان عند غياب مواد  
أخرى ربما تكون تلك التي تأثرت في تجربته عند معالجة للطعام  
بنقمة في الكحول . لم تتحسّن الحال عن ذى قبل حتى بظهور  
نتائج ستيب في الميدان بجوار نتائج بونج ، وخالج الإنسان للشك  
حتى امتعض من هذا الاهتمام الزائد الذي يقوم حول تغذية الفيران  
أنجبه الاهتمام بمد ذلك إلى إجراء هذه التجارب على الحيوانات  
المنزلية النافمة فقام بابتكوك الأمريكى Stephan Babcock (الذى  
تلمذ على يدى العالم الجليل ليبيج الألماني) بدوره في هذا المضمار .  
ففي إحدى محطات للتجارب الزراعية التابعة لجامعة ماديسون  
Madisson أنى بمجموعتين من الأبقار أطعم أولاهما القمح  
الخالص والثانية الترة . ففي بحر للسنة الأولى ظهر على نتاج  
المجموعة الأولى للضعف وعدم تهيئها لأسباب الحياة بينما لم تظهر  
على أمهاتها أعراض مرضية ذات بال . أما نتاج المجموعة الثانية  
فلم يلاحظ عليها شيء ، وكانت صحيحة قوية ، فعمل هذا على  
الاعتقاد بأن الترة لا بد محتوى على مواد مجهولة تلزم للحياة  
وقد لا تنهياً لكل عالم هذه الظروف الحسنة التي هيئت  
لبابتكوك الأمريكى في إجراء تجاربه للكثيرة التكاليف ، فاكتمت  
للكثير من علماء التغذية بتجارب أقل نفقة في البلاد الأخرى ،  
فقام في المزويج البحانة آرل هولف Ari Holst بإجراء تجاربه  
على الخنازير ، فقدم لها غذاء واحداً لا يتغير من الحبوب النباتية  
فتأثرت به وظهرت عليها عوارض تضخم المفاصل وإدماء اللثة

## قصة الفيتامين تجربة غذائية عرضية

- ٢ -

لقد أثبت قديماً أفذاذ علماء التغذية مثل ليبيج Liebig وفريت  
Voit بناء على تجارب صحيحة أن المواد الثلاث الزلالية والدهنية  
والنشوية ، زد عليها الأملاح المعدنية والماء هي مقومات الحياة .  
فالواد الزلالية تقوم ببناء الجسم وما يتطلبه من النمو ، بينما الواد  
الدهنية والنشوية تبعث للقوة وتدعو للحركة والإنتاج الحيوى  
عند احتراقها . ونشير في هذه المجالة إلى المجهودات العظيمة  
الدقيقة التي قام بها فويت في هذا الحيل ، والتي أثبت فيها  
بالوزن مقدار الكميات اللازمة من المواد الغذائية لحفظ الجسم  
ودولاب الحياة بلا اضطراب ، فقدر للشخص المادى الذى وزن  
٦٥ كيلو جراماً ويقوم بمجهود متوسط مقدار ١١٨ جرام من  
الواد الزلالية ، و ٥٠ جراماً من الواد الدهنية ، و ٥٠٠ جرام من  
النشويات كميات يومية ضرورية لحفظ حياته .

بهذا القدر قد يكفي علم للتغذية في تأدية رسالته ولا يبقى  
بمدت إلا للتفكير في جمع هذه الواد الغذائية بالنسب المعينة  
وإمداد الجسم بها بطريقة ملائمة ، ولكن لم يرق هذا بعض  
المفكرين والمشتغلين بفن التغذية في هذا الوقت ، كما استبدوا  
حل المشكلة للتغذية بهذه الطريقة للكميائية السهلة . وكان  
جوستاف بونج Gustav Bunge الفسيولوجى الكيمياء أول  
من حاول تطبيق هذه النظرية ، فارتأى أن الحيوانات التي  
نميش على الواد الغذائية الطبيعية أكثر صحة وأوفر نشاطاً من  
مثيلاتها التي يُقدم لها الكميات من الواد الغذائية التي أقرها  
العلماء . ففي سنة ١٩٠٥ قام بتجارب غذائية على فيران هيا لها  
أسباب للتذاء من مواد زلالية ونشوية ودهنية وأملاح معدنية  
بنسب ثابتة لا ينقصها شيء . فبدأ على الحيوانات للضعف والمزال

## الحيوان يتخاطب ويغازل ويحمل للأستاذ أحمد علي الشحات

لو أنك سرت في مجال الطبيعة تتأمل ودلفت إلى مجموعة من الأشجار الباسقة لراعتك للطيور وهي أزواجاً أزواجاً تنني ألحان غرامها، وينصت بعضها لبعض على أفنانها. ولو أنك انتقلت من عالم للفكر وسألت أحداً من أهل الذكر: هل للطيور لغة تتخاطب بها وإن لم ندرك كتبها، وإن كانت لها لغة فهل ما نسمعه منها من شدة سرورى ورجوع محكى هو الغزل، وإن كان هناك غزل في للطيور فهل عند سائر الحيوانات غزل! لأجابه عالم ممن درسوا طبائع الحيوانات أن لها لغة تعارف بها، وأن بين الجنسين غزلاً. فأما لغة الحيوانات فقد نسمع بعضها وقد لا نسمع، وتتمثل لك لغة الحيوان بالأصوات المتباينة التي تصدر من الحيوانات حين تعبر عن شعور خاص كترغبتها في الأكل أو خوفها من عدو مهاجمها أو حين تغضب، ويتمثل لك ذلك في الكاب واللقط مثلاً، كما يتمثل لك استدعاء الجنس للجنس الآخر في تقيق الضفادع الذي لا يصدر منها إلا في موسم التناسل وحين الرغبة في الإخصاب، وقد أثبت للعالم ج. آرثر طومسون من علماء الحيوان أن عند

أى مجموعة الأمينات (زيد) ولم يثبت إلى الآن انتهاء هذه للفيتامينات إلى مجموعة الأمينات وبرغم التخبط في التسمية ومحاولات الاستدلال على هذا الشيء فقد وضع له الحجر الأساس، وقامت بمدئ مجهودات هائلة وعديدة في العامل المختلفة في شتى البلاد لكشف سر هذه للفيتامينات، فهو يكتز الإنجليزي قد رسم طريق البحث عنها في سنة ١٩١٣ في مؤتمر الطب بلندن. وخط ستيب الألماني اتجاه الكشف عنها بالاستدلال بنتائج تجاربه، واستمر البحث وراء للفيتامينات حتى قبيل نشوب الحرب الماضية. وكان من الصعب في البلاد المتحاربة أن يستمر علماءها وراء للفيتامينات باحثين، وكان أمام علماء الألمان مشكلة نقص للظلم، غير أن الإنجليز والأمريكيين استمروا في أبحاثهم فسبقوا الألمان، ولكن الأخيرين لحقوا بهم، وكان لعلمائهم البرزين فضل كبير في بعض نواحي الأبحاث وراء للفيتامينات. (يتبع)

وسقوط لجها، ولكنه أضاف بعد ذلك إلى الطعام نفسه بعض الدرنا كالبنجر، فزالت تماماً هذه الأعراض واندم ظهورها في الحيوان

جاءت هذه النتائج مدعمة لبيانات الفسيولوجي هو بكنز الذي سبق ذكره والذي أعد لغيرانه غذاء خاصاً مكوناً من النسب المروفة اللازمة من المواد الزلالية والدهنية والنشوية النقية مع الأملاح فظهرت عليها الأعراض المرضية التي ما لبثت أن زلت تماماً وبسرعة عند ما أضيفت بعض نقط من اللبن إلى غذائها فتقت هذه النتائج المتعددة الأذهان وشجعت للزائم وضاعفت من الجهود لكشف للقتناع عن هذا السر الذي بدأ يتهتك حجابيه، وذكر فضل السابقين في البحث الذين كاد يسدل عليهم ستار النسيان. وأثبت بعض الباحثين المولنديين أن بعض للطيور المتزلية كالخام والدجاج ظهرت عليها أعراض مرضية غريبة عند ما كان غذاؤها مقتصر على حبات الأرز الأبيض وزلت هذه الأعراض بإضافة ردة الأرز

يمكننا أن نتصور دهشة العالم حينذاك حول هذا «الشيء» الذي صادفه العلماء تارة في الفرة وأخرى في الأعشاب الخضراء أو في الدرنا وحيناً في اللبن وحيناً آخر في ردة الأرز. ولكن شيئاً واحداً بقي راسخاً في الأذهان، وهو أن دولاب الحياة لا يلزمه فقط ليدور ما عرف للآن من المواد الزلالية والدهنية وللنشوية بل يلزمه أيضاً لحفظ دورانه منتظماً وبلا اضطراب مواد غذائية أخرى خاصة ذهبت في لتصرف عليها جهود العلماء والباحثين السابقين هباء

وفي عام ١٩٣١ أطلق عالم بولوني يدعى كازمير فونك Casimir Funk على هذا الشيء المعجيب الذي شخصه بحسم أو بمادة كيميائية أو بمجموعة مشابهة للزال أو الدهن أو للنشا لفظ (فيتامين) بدون أن يفكر جدياً فيما سيكون لهذه التسمية بمدئ من أهمية قصوى؛ وحتى هذه التسمية الخاطئة — من الناحية الكيميائية — لهذا الشيء المعجيب لم تند الموقف كثيراً ويتقسم لفظ فيتامين إلى شطرين: الأول (فيتا) ومعناه الحياة، ومما لا يختلف عليه اثنان أن هذه المواد هي من أسباب الحياة. أما الشطر الثاني وهو (امين) فهو يدل على مجموعة من للكربونات للمضوية تتركب من الآزوت والإيدروجين،

والانشرح . فإن ضاق بك الصدر يوماً أو عافت نفسك للكتاب فسر عنها برؤية ذكر الحمام وهو بيت أثنائه أشجانه وألحانه . أو للطاووس أو الديك الرومي وكل منهما يزهر أمام أثنائه فيبسط ريشه وتنفخ أوداجه ، وكذا في ذكر النواص وأثنائه حين يسبحان في الماء معا ويرفغان الرأس ويخفضانه ثم يدفع أحدهما الآخر تحت الماء حيث يسمع لها صوت أجش صادر منهما . وتقيم بعض الطيور حفلات رقص وتؤدي الذكور والإناث رقصات جنونية تفعل فعلها في الجنسين وتصرخ صرخات عالية ثم يفرد كل ذكر بأثنائه

ومن الطيور ما يألف أحد جنسها الآخر بحيث يقبضان على عهد الوفاء حتى إذا مات أحدهما فقد يموت الرفيق الآخر كنداء عليه وتخفض حرارة الألفة بين الجنسين إذا انتقلنا من الطيور إلى الحيوانات الأخرى كالثدييات ولو أن لبعضها مظاهر غزل كما في القطط إلا أنها لا تذكر بجانب الطيور التي قد لا يكون للفرض من غزلها إلا التماس وازدياد الألفة . وفي الحيوانات ذوات الدم البارد كالتمساح يتلوى الذكر ويقفز في حركات بهلوانية أمام الأنثى ويسبح وينفخ في الماء ويعطره بإفراز ذي رائحة طيبة من غدد جلدية في فكه الأسفل وذيله حتى يجذب الأنثى إليه وسام أبرص يبدى ارتياحه للأنثى بأن يفتح فمه بأعظم ما يمكنه ، وأما في الضفادع فنقيةها هو استدعاء للجنس الآخر . وفي الأسماك ذوات الأشواك الظهرية كثيراً ما تلتحم الذكور بعضها مع بعض أمام الإناث . حتى إذا انتصر أحدها دفع إحدى الإناث أمامه إلى عشه لتضع فيه بيضاً ، فتسبح السمكة وخلفها زميلاتها متخذة لنفسها مراكز للقيادة ، ثم تفجأ وتقلب نفسها رأسياً بحيث يكون الرأس إلى أسفل فتحاكيها الزميلات ثم تدفع هي الماء فتتفرق الأفراد الأخرى لحظة ثم يجتمع ثانية وتميد السيرة الأولى إلى أن تصل إلى المش ، وهذا معناه في نظر العلماء النزول عند الأسماك

وفي للنحل تطير الملكة في الجو فيتبعها جميع ذكور الخلية كل يحاول أن يفوز بها ، والمتنصر هو أسرع الذكور في اللحاق بها ويلتصمها في الجو ثم ترجع الملكة إلى خليتها ، حتى إذا رأت للشغالة وهو التي تقوم بأعباء الخلية أن عملية تلقيح الأنثى قد تمت أخذت تلاطفها وتحقق بها كأنها عروس ، وأما الذكور

بعض الحيوانات لفة للتفاهم وإن لم تكن بالنطق فهي بالحركات ، فقد استنتج أن المناكب تتخاطب باهتزاز الخيوط التي تفرزها والتي تكون منها بيوتها ، كما أن للنحلة إذا عثرت على رحيق شهي في بعض الأزهار ذهبت تبشر زميلاتها في الخلية بذلك برقصات مخصوصة فتسرع إليها تأخذ نصيبها .

وهناك بعض الطيور كالبيضاء والزرزور ، وهو طائر يمش في مصر والشام على شجر التوت ، تستطيع أن تنطق ببعض الألفاظ التي نطقها إياها ، ولكن هل تنطقها عن إدراك ، وهل تستطيع أن تنطق بجملة بمحض تفكيرها ؟ هذا ما نشك فيه ، وأغلب الظن أن هذه الطيور « عقلها في أذنيها » ، ولكن لما كان في استطاعة مثل هذين الطائرين النطق بألفاظنا فلقد حدا هذا بالملم ركس أن يحاول تجربة ما إذا كان في استطاعة الحيوانات التي في المرتبة للملأ بعد الإنسان أن تتعلم النطق ، بألفاظنا ، فأجرى تجاربه على الشجباري لأنه أيضاً قد حبته للطبيعة جهازاً صوتياً يعاقل جهاز الإنسان من حيث الحنجرة والأحبال الصوتية ، وكذلك لقدرة المشهود بها على للتفكير ؛ فكان إذا أراد أن يطعمه نطق بلفظ بسيط مثل « يا » أو « كو » ، ثم يقدم له موزاً

واستمر يلقنه الدرس أسابيع متتالية ، فكان القرد يطير فرحاً حين ينطق أستاذه أمامه ، لأنه عرف أن هذا معناه للفوز بالأكل ، ولكنه للأسف لم يحاول أن يتعلم للنطق ولو استطاع القرد أن يقلد الأصوات كالبيضاء أو كما يقلد هو أفعالنا لسمعتنا منه المجدب نظراً لقدرة على التفكير وخلاصة ما تقدم أنه ولو أننا لا نستطيع أن نجعل الحيوانات تنطق بلغاتنا إلا أن لها لغة تتعارف بها فيما بينها سواء بالنطق أو بالحركات .

#### النزول عند الحيوانات

يتجلى للنزول عند الحيوانات بأطراف الماء وأسمائها في الطيور على الأخص حيث الوداعة والحنان ورقة الماطفة ، وفي للناب يبدأ الذكر بالمنازلة إلا في حالات خاصة كما في طائر phalarope الذي يسبح في القطب الشمالي حيث الأنثى هي التي تبدأ المنازلة والذكر هو الذي يتدلل ومظاهر النزول عند الطيور عديدة تبعث في مشاهدتها للبهجة



صاحب الفضل على الإنسانية ، والتي أنجبت شامبوليون  
صاحب الفضل على المدينة المصرية ، والتي دانت الأدب  
والعلم بحياة السوربون

ولم يكن بدّ لجملة تملن حزنها لمحنة فرنسا بست صفحات  
من السماح لبعض معارضها بفشر فقرات كانت على خشونتها مما  
تبيحه الجادلات الأدبية، وقد تولينا الرد على تلك الفقرات بما يبين  
غرضنا من العطف على فرنسا ، ثم نشرت « الرسالة » بمد ذلك  
مقالاً بفيض بالعطف من أديب عرف بلادكم وهو الأستاذ البهيتي  
فأرجو - حين تظلمون على خطابي هذا - أن تلتفوا الأمر الذي  
أصدرتموه بمنع « الرسالة » من دخول البلاد السورية واللبنانية ،  
وأن تذكروا أن لنا مبادئ إنسانية تصرفنا عن الشواغل المحلية  
لأن لنا ساسة يتوبون عنا في تدير تلك الشؤون ، وإليهم يرجع

الأمر في الاهتمام السياسي بمرکز مصر في الشرق  
وأرجو أن تذكروا أيضاً أن بلادكم لم تستوجب العطف من  
أمثالنا إلا بفضل ما يؤثر من تشجيعها للحرية ، ومن أجل ذلك  
استباححت الرسالة أن تنشر عن بلادكم رأيين مختلفين ، وفقاً  
لما تملناه في السوربون من عرض ما للرأي وما عليه

وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل

زكي مبارك

خريج السوربون

وصاحب « ذكريات باريس »

نعم هي كنية الامام الصادق

إن الأديب البغدادي « ع » لذي حق فيها كتبه في ص ١٤٠٠  
من العدد ٣٧٤ من الرسالة الثراء خاصاً بكنية أبي عبد الله المذكورة  
في الصفحة السادسة من كتاب « نقد الذثر » وبأنها للإمام جعفر  
الصادق وليست للحسين بن علي عليهما السلام كما ذكر سهواً في  
هامش للصفحة المذكورة

ولا شك أن حضرته اطلع على طبعة متقدمة من كتاب  
« نقد الذثر » وقع فيها مع الأسف للسهو المذكور ، ولورجع  
إلى الطبعة الحديثة الصادرة عن مطبعة مصر في عام ١٩٣٩ لوجد  
ناشرى للكتاب قد تداركا هذا السهو فكتبنا في هامش الصفحة  
السادسة تعليقا على تلك الكنية ما نصه بالحرف الواحد :

« هي هنا كنية جعفر للصادق ، وهو الإمام السادس

الى مثل فرنسا في سورية وبنائه

بمد تقديم واجب التحية أذكر أني علمت أنكم أصدرتم  
أصراً بمنع مجلة ( الرسالة ) من دخول البلاد السورية واللبنانية  
لمبارات ظنتموها تثير البغض على فرنسا في تلك البلاد  
ولو كانت مجلة ( الرسالة ) صحيفة سياسية يهمنها أن تصول  
في المعتراك السياسي لمدونا هذا المنع وسيلة تصان بها المصالح  
للفرنسية في البلاد السورية واللبنانية وأنخذنا منه فرصة للجورم  
على فرنسا من جديد

ولكن الأمر يختلف عما تظنون كل الاختلاف ، فجلة  
الرسالة صحيفة أسبوعية لخدمة الآداب والعلوم والفنون ، وقد  
حزنت لمحنة فرنسا بست صفحات في عدد واحد - صفحتين بقلم  
الأستاذ الزيات وأربع صفحات بقلمى ، وما خطر في بالنا يومئذ أننا  
نحزن لفرنسا الاستعمارية ، وإنما تصورنا فرنسا التي أنجبت باستير

فلم يعد لها فائدة في الخلية ، عندئذ تقوم الشنالة بقتلها وإلقائها خارج  
الخلية ، وأما الذكر الذي فاز فإنه في مقابل انتصاره يسقط ميتاً  
من الجو بمجرد إتمام تلقيح المسكة ، ويسمى طيران المسكة والذكور  
في الجو « طيرة العروس » nuptial light ولكنما حفلة عرس  
تمتها أرواح جميع الذكور ، وهكذا الدنيا تدور !

الحلم عند الحيوانات

قد ينشط للعقل والجسم نائم فيوحى بمختلف الأفكار وتمر عليه  
مختلف الصور ، وهذا ما يبر عنه بالحلم. ولقد شوهدت هذه الظاهرة  
في الحيوانات لليليا كالحصان والكلب والقط وهي في سباتها ،  
فقد يصل الحصان ، وقد يقوم للكلب بحركات تشبه التي يقوم  
بها في الصيد وهو في اليقظة ، بل قد تستطيع أن تجعله يسبح  
في الأحلام إذا قدمت لكلب سيد وهو نائم قطعاً من الأخشاب  
أو أعشاب ذات رائحة اعتادها في أحرار الصيد فسرعان ما يخيل  
إليه أنه في تلك الأحرار فيقوم ببعض حركات للصيد وهو نائم  
أصم على السمات

نسبت إلى جبر و ليست له ، و روى للبيت المجنون وهو لجليل بثينة  
ومن ذلك شعر ضعيف لبعض التأخرين ، ومنه ما يبدو  
حقيقته لكل ذي عينين ، كالقصيدة التي يقول صاحبها :

لمعري ما لاقى جميل بن ممر كوجدى بليلى لا ولم يلق مسلم  
ولم يلق قابوس وقيس وعمرو ولم يلقه فبلى فصيح وأعجم  
أفيكون قيس هو قائل هذا عن نفسه ؟ ومن اللقط النسوية  
في الديوان إلى المجنون ما أقطع بأنه ليس له ، ولكني لا أذكر  
الآن صاحبه ، كالقصيدة التي يصف فيها أعضاء المجنونة عضواً  
فعضواً (ص ٣٢) ومثلها في (ص ٢٦) والقصيدة التي ذكرت  
فيها قصة الذئب والحمل (وكنت كذئب السوء إذ قال مرة) -  
(ص ٤٣) ، والتي يذكر صاحبها جبل الثلج (٤) وينزل بانتين  
يسمى إحداهما أم عمرو (ص ٤٧)

أما التحقيق فليس منه في الديوان شيء ألبتة... أما النرح  
فلا يتجاوز جيده بضعة عشر سطرأ أكثرها تفسير كلمة عويصة  
أو مقابلة بعض الآيات على الأغانى ، أما الضبط « الشكل »  
فأغلاطه أكثر من أن تحصى وليس يستند به أصلاً  
والمجيب في الأمر أن تكون مقدمة الديوان بقلم الدكتور  
زكي مبارك ، وأن يكون فيها ثناء على الأستاذ جلال الدين الحلبي  
وشهادة له بالمقدرة على فهم أغراض المجنون

هو الطنطاري

#### الشعرى البرمانية Sirius

قرأ دائماً المعلق الذي تدبيره براحة الدكتور للتأنيمة محمد محمود  
غالي بلذة وإعجاب ، فهو يسبح على الآراء العلمية الجافة حلة من  
السهولة والطلاوة والطرافة تسمو بها إلى مرتبة الموضوعات  
الأدبية الشائقة  
وعلى عادتنا قرأنا له بحته الأخير « الأحياء في غير الأرض »  
فوقمنا على العبارة التالية : « ثم جل بنظرك بعد ذلك بمبدأ عن  
النجم القطبي وجهة اليمين تر (دينب Deneb) للمظيم ويسمونه  
بالبرية « الشعرى البرمانية » في مجموعة ذئب الهجاجة تصطدم  
فوتواته بشبكة العين بعد نبع سنوات ضوئية ... »  
في هذه العبارة خطأ لا نشكر أن الدكتور وقع فيه على سبيل  
السهو أو عدم التأكد من المصادر الموثوقة ، فإنه ليخيل للقارى  
لأول وهلة أن الكلام يقصد به حقيقة (دينب Deneb) فهو

من أئمة الشيعة الإمامية ، المتوفى عام ١٤٧ هـ . وهشام المذكور  
بعد في المتن هو هشام بن سالم ، وكان من وجوه أصحاب الإمام  
جعفر الصادق - كتاب ( فرق الشيعة ) للتوحيدي ص ٦٦ «  
( القاهرة )  
عبد الحميد العبادي

#### إلى الأئمة الدكتور زكي مبارك

للسلام عليكم :

اطلمت اليوم على للكلمة التي كتبت عنى في مجلة الرسالة  
فشكرت لك مرتين : شكرت حسن ظنك وثناءك على ابتناء  
مرضاة الله ، وشكرت لك المسارعة إلى إعلان ما يجوز في سيرتك  
إيثاراً للحق ، وحرصاً على مجازاة من أحسن في رأيك  
وقد تبينت في كلتك خلقاً من أخلاق القرآن الذي يقول :  
« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله . »  
ثم رأيت أن آداب القرآن تأمرنا أن نشكر من أحسن إلينا  
بالقول أو للفعل فكتبت هذه للكلمة شاكرآداعياً الله أن يرزقنا  
السداد والإخلاص في الرأي والقول والعمل والسلام  
عبد الرهاب هشام

#### ديوانه مجنونه ليللي

اطلمت أمس على هذا الديوان وقد طبع في مصر سنة ١٩٣٩ ،  
وكتب على غلافه أنه جمع وترتيب عالم زمانه وفريد عصره وأوانه  
أبي بكر الوالبي وأنه بتحقيق وشرح جلال الدين الحلبي ، وقى  
آخره إمضاء أحمد سمدي من علماء الأزهر تحت اعترافه بأنه  
صح بمعرفته

والديوان في ٩٢ صفحة من القطع الصغير ، أكثر ما فيه  
من الشعر المنسوب إلى المجنون هو لغيره ، ومن ذلك ما هو مشهور  
معروف صاحبه ، كقطعة (ألا يا سبا نجد متى هت من نجد)  
وهي ليزيد بن الطائرية ؛ وقطعة (عجبت اسمي الدهر بيني وبينها)  
وهي لأبي سخر المذلي ؛ وقطعة (تمتع من شيم عمراء نجد)  
وهي للعمة بن عبد الله القشيري

ومن ذلك قطعة (ألا هل إلى ثم الخزامى ونظرة) وهي  
ليحيى بن طالب الحنفي ؛ وقطعة (اقرأ على الوصل السلام وقل له)  
وهي لأبي القمقام الأسدي ؛ وقطعة (بيننا نحن بالبلاكت بالقاسع)  
وهي لكثير عزرة ؛ وقصة بيت (ألا أيها التوام وبحكم هبوا)

لا يصلح في ذلك المقام وهو مقام تهديد ووعيد . ( ١ هـ كلام الدكتور مبارك )

لم أرتح لهذا التمليل - يا دكتور - من عدم ملائمة السجع لمقام التهديد ، لأن رقة السجع لا تنسج مع شدة التهديد . وإني أرى في هذا الموضوع خلاف هذا الرأي لأدلة عقلية ، وأخرى نقلية :

أما العقلية فلأننا إذا سلمنا رقة السجع لأنه الكلام المنفي ، والتنفية نوع من التردد الموسيقى الذى يخف به الكلام على السمع فالشعر أولى بالرقة من الكلام المسجوع لما فى الشعر من الوزن والتنفية . فإذا جعت المسجع غير لائق في مقام التهديد والوعيد كان للشعر أولى بمدى اللياقة في هذا المقام . وهى نتيجة لا يثبتها الأدب العربى المملوء بشعر الحروب وأيام العرب

وأيضاً فالحماس الذى يكون في مقام الفخر والتحدى هو نوع من الشدة شبيه بتلك الشدة التى تكون في حال التهديد والوعيد . وأنت جد عليم بما يحويه خطب الثورات المياسية التى تشمل نار الحمية ، وتوقظ الغيرة الوطنية ، من السجع والزواجة

أما الأدلة للنقلية ففى طليعتها كتاب الله الكريم وما يحويه من آيات التهديد والإنذار ذات السجع المعجز . كآيات : ( ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين ) والآيات ( كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النديم ) . ولتقرآن مملوء بشيئه هذه الآيات

وقد ورد في كلام المتقدمين من الكتاب والخطباء كثير من المبارات المسجوعة في مقام الشدة والتهديد . مثال ذلك خطبة زياد بالبصرة حيث قال :

« إن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، ولبنى الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم »

وقد كتب سيدنا على إلى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما في مقام التحذير والتهديد فقال : « إنك إذ تحاولنى الأمور وتراجضى للطور ، كالمستقل للنائم تكذبه أحلامه ، والتحير

قريب من النجم القطبى يقع تقريباً على امتداد الخط الواصل بين صدر النمش في كوكبة بنات نمش الكبرى والنجم القطبى ، ( وليس من ضرورة - كما أرى - لتذكر الجبين أو الشمال ) إلا أن هذا النجم لا يسمى بالمريية الشمري الميانية كما ذكر الدكتور ، وإنما هو الردف أو ذنب الدجاجة ، إذ هو في مجموعة ( الدجاجة أو الأوز المراقى Cygnus ) وبمده عنا أضفاف البعد الذى ذكره الدكتور فلا يصل إلينا منه النور إلا بعد ستائة واثنين وخمسين سنة من وقت مفادته مصدره

أما الشمري الميانية ويقال لها المبور أيضاً فهى نجم Sirius في مجموعة ( الكلب الأكبر Canis Major ) وهذا النجم أقرب إلى القطب الجنوبي منه إلى القطب الشمالي ، وهو أسطع النجوم نوراً ، ولذا كان من أكثر النجوم شهرة ؛ و « تصطدم فوتوناته - حقيقة - بشبكة العين بعد تسع سنوات ضوئية - تقريباً - » . ومن هنا يظن القارى أن للكلام خاص بالشمري الميانية وليس بالردف ...

على أن مثل هذه الهيئات لا تنض من قيمة البحث ، ولا تقلل من إعجابنا الكثير بالدكتور الكبير .

( المحسن )  
مبيل السالم

### السجع في كتاب النثر الفنى

عزيزى الدكتور زكى مبارك

كنت أقرأ كتابك ( النثر الفنى في القرن الرابع ) فوقفت منه في صفحة ٢٥ على العبارة الآتية :

وقد أذكر أننى كنت أحاور الميوسمرسيه في تطور السجع فأخرج رسائل الجاحظ وفيها للعبارة : « إن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أمل كتاباً إلى رجل فقال فيه : لحو أهون على من ذرة ، أو كلب من كلاب الحرة . ثم قال . امح ( من كلاب الحرة ) واكتب ( من الكلاب ) كأنه كره اتصال الكلام والزواجة وما أشبه السجع ، ورأى أنه ليس في موضعه » وكان الميوسمرسيه يظن في هذه العبارة دلالة على أنهم كانوا إذ ذاك لا يستحبون الكلام المسجوع ، فوجهت نظره إلى أن لهذه العبارة معنى آخر : ذلك أن السجع فن رقيق ،

وسيشترك معه في تحرير هذا العدد نخبة من كبار الأدباء في الشرق العربي ، وسيكون للمدد حافظاً بالصور الشمسية للفقيد في مختلف أطوار حياته

والرجو من يحب المساهمة في هذا للمدد بكتابة شيء عن الفقيد من أصدقائه وصريديه ومحبي أدبه ، أن يبعث ما يكتبه إلى الأستاذ الكيالي (مجلد سوربة) ، أو يرسله إلى بعنواني :  
٢ موطنش باشا  
«الأسكندرية»  
إبراهيم أحمد أرهم

### جواب سؤال

كتب إلى أديب فاضل من اليمن يسألني عن اسم قائل بيتين من الشعر ذكرها ولم يكتب إلي بعنوانه لأبحث إليه بالجواب ، فرأيت أن أجيبه على صفحات الرسالة للفرداء . سألتني عن قائل هذين البيتين :

بذكر الله تزداد الذنوبُ وتحتجبُ للبصائرُ والقلوبُ  
وترك الذكر أفضل منه حالاً فإن للشمس ليس لها خروبُ  
ففتشت عنهما كثيراً إلى أن عثرت عليهما في ديوان عبي الدين  
ابن عربي الصفحة الرابعة .

(دستق) ناجي الطنطاوي

### حول مقال « في سبيل الإصلاح »

حضرة المحترم الأديب الأستاذ الكبير صاحب (الرسالة) اطلمت في عدد الرسالة (٣٧٣) على هذه المقالة للأستاذ البقري العقاد؛ وأنه ليسرني أن أذكر أنه بحث في هذا الموضوع بحثاً طريفاً شائقاً يستحق التقدير والإعجاب . غير أنه كان الأجدر به ومداد قلمه من بحور الأدب ألا يسوق إلينا فكرة صاحب الأقدنة التي ترمي إلى إصلاح العلم الإلزامي، لأنه إذا سئل عن الميب الذي يراه لا يجد ما يقوله سوى أنه يعلم للنشء للتبطل والحذقة وكيفية وضع حملة الجورب وإحسان رباط الرقبة ، وهم جرا . فياليت شعري ماذا جنى هذا الجندي المجهول حتى يصمه نائب محترم بهذه الوصمات ؟

أما كنى العلم الإلزامي فخرأ أن لا عيب فيه سوى عنابته بحسن هندامه . وأنه الأساس الأول للثقافة ؟

(منيبس) عبد الله عبد التراب

للقائم بهبطه مقامه، لا يدري أله ما يأتي أم عليه ، ولست به غير أنه بك شبيه

ويقول الحجاج بن يوسف في خطبته لأهل العراق : « ألتهم أصحابي بالأهواز حيث رتم المكر ، وسميت بالفدر ، واستجمعتم للكفر . ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية ؛ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ، ونكوص وليكم عليكم ، إذ وليتم كالإبل للشوارد إلى أوطانها ، للتنازع إلى أعطانها ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقصتكم الرماح . ثم يوم دير الجاجم ، وما يوم دير الجاجم ، بها كانت المارك والملاحم ، بضرب زيل الهام عن مقيله ، وبذهل الخليل عن خليله » والخطبة مملوءة بالتهديد والوعيد والمجع المقبول .

فا رأيك في هذا ؟

(بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المبيد

### مولد الدكتور إسماعيل أرهم ونسب

اطلمت على ملاحظتكم المنشورة في العدد رقم ٣٧٣ من « الرسالة » ، وقد يتصل بها وبصورة الفقيد ما نشرته جريدة « البصير » اليومية التي تصدر عن مدينة الأسكندرية بتاريخ ٢ أغسطس و ٩ أغسطس و ١٦ أغسطس و ٢٤ أغسطس الجاري للأستاذ صديق شيبوب ولكاتب هذه السطور والأستاذ البحيري عبد الرحيم

واللهذة التي أشرت إليها مستمدة من بيان للفقيد نفسه ، ( وقد أشرت إلى ذلك من قبل ) ، ويمزجها ما ذكره في توطئة رسالته التاسعة الموسومة « لماذا أنا ملحد ؟ » فليرجع إليها جميعاً « الأسكندرية »  
أحمد زكي أبو شادي

### عمر خامس من « الحرب » عن الدكتور أرهم

كتب إلى الأديب السورى المروف الأستاذ ساي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » الحلبية بأنه قرر إصدار عدد خاص من مجلته في منتصف سبتمبر عن أخي فقيد العلم والأدب الرحوم الدكتور إسماعيل أحمد آدم ، وفاء له وتخليداً لذكراه هذا ، ويشير الأستاذ الكيالي في هذا للمدد إلى كافة كتب الفقيد ، وإلى دراساته الأدبية ، وآثاره العلمية ، وسينوه بمواهبه ومزاياه



## المقام...

للكاتب الروسي ألكسندر بوشكين

ترجمة الأستاذ هلمي مراد

— ١ —

كانت إحدى ليالي الشتاء للطوبلة ... وقد تراجعت فلول للظلام كبيرة ، وأقبلت طلوع الفجر للهامم ... حين التف الدعويون إلى مادة نروموف — الملازم في فرقة الحرس — حول مائدة القمار بلبون الورق ويتبادلون شتى الأحاديث ، فقال الضيف وهو يعلو ورقة اللعب لأحد مدعويه :

— كيف حالك هذا المساء يا سورين ؟

فرد هذا : « لقد خسرت كالمادة منذ بدأ الحظ يدبر عني ، ولكن ... ماذا ترون في « هرمان » الذي لم يشترك معنا قط في اللعب ؟ حقاً ، إن أسره لمعجب ، فهو يسهر معنا طوال الليل يرقب هجلة الحظ تدور وتدور بيننا مع أنه ما من داع يدفعه لذلك » وهنا تدخل هرمان في الحديث فقال : « الأمر بسيط أيها للسادة فاللعبة تمجيني ، ولكني لا أود المقامرة في سبيل للكسب ، فقد أخسر بعض مالي » . وأردف شخص ثالث :

— لا تمجبوا ! فهرمان ألماني وقومه معروفون بالليل إلى الاقتصاد ، ولكن ... ألم تلاحظوا أن الكونتس أنا فيدروفنا لا تلعب قط ... هذا هو الذي يستحق دهشتنا حقاً ، فإن مجوزاً في الثمانين لا تلمس الورق لمي شاذة بالتأكيد

ثم أطرق تومسكي — وكان هو المتحدث — قليلاً واستطرد :

« ألم تدركوا السبب ؟ » فأجاب اثنان بصوت واحد :

— كلا ، فهل هناك سبب خاص يدعوها لذلك ؟

فرد تومسكي بقوله : نعم ... فاستموا إلى :

مفد نحو ستين عاماً كانت جدتي ( الكونتس أنا فيدروفنا ) مبهودة باريس وموضع إعجاب قاطنيتها ، حتى أطلق عليها لقب ( فنوس الروسية ) فأخذ ريشيليو يعود إليها ، ولما يس من

مبادلتها له حباً بحب حاول الانتحار أكثر من مرة ، وذات ليلة لعبت الورق مع الدوق دورليان وخسرت مبلغاً كبيراً ، ولما لم يكن معها المبلغ كله في ذلك الحين فقد حادلت عند عودتها إلى المنزل إقناع زوجها بدفع المبلغ ولكنه أصر على الرفض متخذاً من إصرافها مجرداً لقراره هذا . وإذ ضاقت بها الدنيا طرقت باب الكونت دي سان جرمان الذي قيل إنه ذو موهبة خارقة في كسب المال ، ولما جاءها الكونت وحدثته بالمأزق الذي لم تستطع الخلاص منه قال : « سيدتي : إنني على تمام الاستعداد لإعطائك أي مبلغ تطلين ، ولكني لا كنت أعلم عن يقين أنه لن يهدأ لك بال حتى أسترده ما أقرضت ، فقد رأيت أنه يحسن بك أن تعاودي اللعب لترجعي ما خسرت »

وما إن وصل تومسكي إلى هذا الحد من الحديث حتى كان الجميع متلهفين إلى سماع بقية القصة ، فتوقف قليلاً ريثما أشعل غليونه ، ثم استطرد قائلاً : « وأمر الكونت إلى جدتي بضع كلمات يمتنى كل منكم لو سمعها ... وفي تلك الليلة بعينها طودت جدتي اللب على مائدة الدوق دورليان معتذرة عن عدم دفع المبلغ بما اعتورها من اللسيان ، وأخذت ثلاث رقات ، راهنت على الأولى فكسبت ثم ضاعفت الرهان على الثانية فكسبت ، وكذلك كان حظها حين لعبت الورقة الثالثة ... »

وهنا صاح أحد الضباط مقاطعاً : مجرد حظ ! وقال هرمان : يا لها من قصة . بينما سأل ثالث : وهل كانت الورقات مرقومة ؟ فأجاب تومسكي :

— كلا ، ولكن استمعوا للبقية ، فقد كان لجدتي ثلاثة أبناء أحدهم والدي ، ومع هذا لم يتمكن أحدهم من استخلاص مر الثلاث الورقات منها حتى الآن ... والأعجب من ذلك أنها قابلت ذات يوم فيما بعد سديقاً لها خسرت كل ثروتها في ليلة واحدة ؛ وحين علمت بالأمر ووجدته غارقاً في اليأس أعطته وريقات ثلاثاً كي يلعب بها بعد أن أخذت منه وعداً قاطعاً ألا يجلس إلى مائدة القمار بعد أن يستعيد ثروته . وفي اليوم التالي عرض للشاب على غريمه أن يلاجه فقبل ، وإذ ذلك بدأت المقامرة بأن راهن الأول على إحدى الورقات بخمسين ألف روبل ، فكسب ... وعندما ترك المائدة الخضراء كان قد استعاد ضعف ثروته

أبصرت ليزابيتا الضابط عينه واقفاً عن بعد ، وقد التفت بمطف حجب نصف وجهه ولكنه لم يحجب عينيه المتقدنين ، فاضطربت الفتاة دون أن تدري لذلك الاضطراب سبباً

وواظب الضابط على الحضور إلى نفس المكان كل يوم يسدد إليها بصره ، فكانت إذا ما رأته انسحبت على الفور والفضول يقتلها وشعور غريب يضطرم في أعماقها بشكل لم يسبق لها أن أحست بمثله . ولم يمض وقت طويل حتى نشأت بين الاثنين صداقة جعلت الفتاة تحس بوجوده حين يجلس إلى النافذة فتحدث فيه بضع لحظات ثم تعود لعملها وقد كست الحرة وجنتيها ، بينما ينصرف الشاب منتبهاً بشكك اللحظات التي تفضلت بها عليه . . . . . ومر أسبوع تبادلت فيه ليزابيتا مع الضابط البسات البريئة الساذجة ، وكان قلبها يحترق كلما رأته وخاصة عند ما دخل تومسكي يلتصق من جدته الإذن بأن يقدم لها أحد أصدقائه إذ ظنت الفتاة أن صديقها الضابط هو المعنى بالكلام .

\*\*\*

كان هرمان من أسرة ألمانية أقامت في روسيا فلما مات والده ورث عنه بضئ المال ولم يشأ أن يقامر به خوف فقده فظل قنوعاً بما يدر عليه من ريع كان يكفيه ، بل ويسمح له أحياناً بالإفناق على أصدقائه إذا خرجوا يتزهون ، ولكنه رغم إحجامه عن القامرة لم يجد بأساً من قضاء السهرات مع خلانه يراقبهم وهم يلعبون ... . . . . . وحين انتهى تومسكي من قصة الوريقات الثلاث كان الفضول قد تملكه والدهشة قد عقدت لسانه ، فلم يكف عن التفكير في محيطها طوال تلك الليلة ... . . . . . وفي الليلة التالية خرج بتريض في شارع سانت بطرسبرج وهو يعنى نفسه بالتقرب من الكونتس كي تبوح له بسرها ، ولا سيما أنها في الثامنة والسبعين من عمرها فتوتها متوقع من يوم لآخر ...

ولم يكن يقطع على هرمان حبل أفكاره أحياناً إلا للشك الذي نسيج خيوطه في مخيلته فبات يحتمل أن تكون قصة تومسكي دعابة جادت بها قريحته ولكنه ما لبث أن سمع هامساً يهتف في أعماق قلبه مذكراً إياه بأن وريقاته الراجعة هي الاقتصاد والمصل والمثارة فليقتصر جهوده عليها ليتضاعف دخله ويفدو من ذوى اليسار

مرت هذه الخواطر بذهنه وهو يتزهد إلى أن استرعى نظره قصر تجلت فيه آيات الفن وازدهمت أمامه المربيات بعد أن قدفت

وتوقف تومسكي عند هذا الحد من حديثه ثم قال :  
- هيا بنا إلى النوم أيها الأصدقاء فقد حانت الساعة السادسة

- ٢ -

في الوقت الذي كان تومسكي يقص فيه حديث جدته كانت هذه تجلس أمام المرأة لتصلح من هندامها وتستكمل زينتها ، فأبها رغم كبر سنها كانت تحرص على حضور جميع المراقص والحفلات باذلة عناية فائقة في اختيار ملابسها حتى أصبح منزلها كعبة الزوار يؤمه أناس من أرق الطبقات لقضاء بعض الوقت في تسلية ومرح ولكن رغم هذا كانت الكونتس عصبية المزاج شاذة الأطوار ، لا تهم إلا بملابسها ولا تغفر لوصيفتها ( ليزابيتا إينغونفا ) أصغر هفوة ، بل إنها كانت إذا أمرتها بإعداد الشاي أنهرتها على تبذيرها في السكر ، وإذا طلبت منها قراءة فصل من كتاب عدتها مسؤولة عن النسخ الذي يجري به قلم المؤلف ، وإذا خرجت معها في تزهة لاسمها على سقوط المطر أو هبوب العواصف ، وإذا اصطحبها لمقص أقصتها عن مجلسها إلى ركن تظل المسكينة منفردة فيه ، لا يشاركها أحد حديثاً أو يدعوها لرقصة

ورغم ما امتازت به ليزابيتا من جمال فانت به سيدتها ، بل وكثيرات من النبيلات لم يكن أحد ليلقي إليها نظرة أو يعيرها أي التفات ، فنارت كرامتها لذلك الوضع المزرى الذي اكتنف حياتها وصارت إذا اشتد بها الألم وعصفت بين جوانحها ربح الموموم ، أسلمت حينها للدمع تذرفه وقلبا للزفرات يرسلها ...

جلست ليزابيتا بعد يومين من مأدبة نلروموف بجوار النافذة تترز ، فحانت منها الفتاة إلى الطريق دون قصد ، وإذا ذلك وقع بصرها على ضابط وقف بلا حراك مثبتاً عينيه تجاهها ، فنضت من نظرها وعادت إلى التطريز ... . . . . . وما صرت بضع دقائق ، حتى أطلت من النافذة بمحركة آلية ، فإذا بالضابط لم يرح مكانه ... . . . . . وكان ردعاً على هذا أن ابتعدت قليلاً وعادت إلى التطريز إذ لم يكن من عادتها مبادلة الشبان للنظرات واللبسات ... . . . . . وبمد ساعتين قامت للعناية بشؤون سيدتها فلمحت على الرغم منها ذلك الضابط في مكانه

بدا لها كل ذلك غريباً فلم تدر كيف تملته إلى أن عادت بعد الغداء إلى عملها ، ولكن الضابط كان قد ذهب فلم تشغل بالتفكير في أمره ... . . . . . ومر يومان تادرت الكونتس بعدما قصرها بصحبة وصيفتها ، وما كادت الأولى تتخذ لها مقعداً في المربة حتى

إليه بمن فيها من رجال وسيدات وضيباط وآنسات فرقوا جميعاً من يابه وسرعان ما احتوتهم قاعاته ...

اقرب هرمان من الحارس سائلاً عن رب القصر، وما أن رد هذا ناطقاً باسم الكونتس أنافيدروفنا حتى اشتعل هرمان الدهول فهتف في نفسه: « يا الله! إنها جدة تومسكي ... إنها صاحبة الوريقات الثلاث » ووقف لحظة مشدوهاً ثم خط طريقه إلى اللزل حيث تملكه القلق فقارقه اللئاس، ولكنه حين قهره بعد طول عناء أخذت الأشباح تتراقص أمام عينيه ... رأى المائدة الخضراء تملوها أوراق النقد وأكوام من (الروبلات) ... ورأى نفسه جالساً إليها وقد غمره فيض من الريح زخرت به جيوبه ثم استيقظ متهدأ فإذا بكنوزه ليست إلا ثمرة كابوس مضطرب خرج إلى الطريق ليزيح تلك الخيالات التي أقتض مضجعه، ولكنه وجد قدميه تقودانه ناحية القصر ... كان يبدو أن قوة خارقة قد اجتذبت به إلى هناك، فوقف يتطلع إلى النافذة وما لبث أن رأى فتاة يزين رأسها شعر أسود متهدل قد أكتبت على كتاب تقرأه أو حرير تطرزه ... وتحركت الفتاة تجاهه فأخذت عيناه وجهاً جميلاً وعينين مجلاوين يشع منهما بريق خاطف ... وفي تلك اللحظة تحدد مضيره وكتب المقدر نهايته

— ٣ —

كانت ليزا بيتا قد أنهت عملها حين نادتها الكونتس لتؤنس وجدتها في نزهة قصيرة؛ وبينما كانت تساعد سيدتها على ارتقاء اللعربة رأت الفتاة ذاك الضابط ... وأنه يجانها يدهس ورقة بين يديها فأخفتها بين طيات قفازها وبدأت تفكر، فلم تر أو تع شيئاً مما مر حولها. وزادتها حيرة وارتباكاً أسئلة الكونتس المتوالية التي اكتفت في الرد عليها بأجوبة مقتضبة مما دعا سيدتها إلى القول:

« ماذا بك اليوم؟ فم تفكرين؟ ألا تسمعينني؟ ... إنني لا زلت أتكلم بوضوح. أليس كذلك؟ »

... وصرة أخرى لم تصغ ليزا بيتا إلى كلامها، وحين عادت إلى حجرتها أقتلت بابها وشرعت تقرأ في الورقة المطوية أرق عبارات الحب التي صيغت في قالب عاطفي، فتملكها شعور من الفرح ... ولكنها وقفت بعد حين نمدق في اللغضاء. لقد كانت هذه أول مرة يحس فيها أحد بوجودها بل ويظل ساعات طويلة في انتظار ابتسامها عذبة يفتر عنها ثراها، أو نظرة تتجلى بها

عينها ... فكيف لا ترتبك ... وأخيراً وبعد لأي كتبت له هذه الكلمات بيد مرتمشة: « أؤمل أن تكون نواياك طيبة نبيلة ... وإنما يجدر بك أن تعرف أن علاقتنا لا يمكن أن تبدأ عن هذا الطريق. وها أنا ذى أعيد إليك خطابك راجية ألا تلجئني للندم على تسرعى »

ثم قذفت بالرسالة من النافذة فالتقطها الضابط وما أن أتم قراءتها حتى شاع البشور في قسبات وجهه فبدأ قانماً بأولى خطوات مضامرتها ...

مضت أيام وأسابيع كان هرمان خلالها يتوصل بمختلف الطرق لإيصال رسائله لمحبوته ... كان يكتب تلك الرسائل بببارات أخاذة لم تستطع الفتاة مقاومة إغرائها فاضطرت للرد عليها ومبادلة الشاب ودأ بود؛ وكان الرد يطول يوماً بعد يوم إلى أن احتوى ذات يوم هذه الكلمات:

« سيقام مرقص الليلة في دار للسفارة وستحضره الكونتس فتمتلك هنالك حتى الثانية صباحاً، فعليك - إذا أردت مقابلي - أن تقبع في مكانك حتى تطفأ الأنوار في الساعة الحادية عشرة وإذا ذاك وجه خطواتك نحو باب القصر وادخله بلا تردد لأن الحارس سيكون غارقاً في غطيطه؛ ثم ارتق الدرج بسرعة حتى غرفة الكونتس حيث تجد خلف الأستار بايين يقود الأيمن منهما إلى حجرتي وانتظرنى هناك ... »

وحوالى الساعة العاشرة من ذلك المساء كان هرمان واقفاً أمام القصر ينتظر ... كانت الليلة رهيبية، والريح تعصف بشدة، والثلج يتساقط بفيض زاخر بينما انبعث من المصاييح نور خافت، نغلا الطريق من المارة وهم السكون ... مررت لحظات سمع بعدها صوت عجلات اللعربة يردده القضاء وهي تتعد بالكونتس ووصيفتها في طريقهما إلى المرقص. ثم كرت الدقائق وأطلقت الأنوار، فانتظر هرمان بفض الوقت، ومن ثم يم شطر القصر فمير يابه وصعد السلم بخفة النمر حتى وصل إلى غرفة الكونتس حيث رأى على ضوء مصباح صغير قطع الأثاث الفاخر منثرة في أرجائها وبضع صور زينية تزين جدرانها فوقف يتأملها في صمت وسكون وما لبث أن عبر الغرفة إلى المر الذي تقع في نهايته غرفة الفتاة فولوجها وأقفل خلفه للباب فمعها للظلام ... وجلس ينتظر

مر الوقت بطيئاً وكان الهدوء نائراً ظل على القصر ثم دقت الساعة اثنتي عشرة دقة وعاد للسكون الذي لم يمكره سوى ضربات

مرة... ما هي الورقات الثلاث؟...»  
ولما لم يسمع رداً أو حركة أمسك هرمان يدها فوجدتها قد  
فارت الحياة حاملة سرها معها

— ٤ —

حينما دخلت ليزا بيتنا إلى ججرتها سرها أن لم تجد فيها صديقتها  
للضابط ، إذ أن شموراً من الندم غمرها فأخذت تلوم نفسها  
على تسرعها في استدعائه . وبينما هي ساجدة في بحار الفكر فتح  
للباب فإذا بهرمان واقفاً نجهاها . فارتعدت الفتاة وقالت :  
« أين ... كنت ؟ »

فرد مطرقاً : « في غرفة الكونتس ... لقد تركتها منذ  
لحظة ... ميتة »

« يا للساء ! ماذا تقول ؟ » فاستطرد هرمان : « وأخشى  
أن أكون سبب موتها » . ثم جلس بجوار النافذة وشرع  
يقص عليها أبناء مفاصرتة ، فأدركت أن عبارات الوجد والهيام  
التي كتبها والساعات الطويلة التي قضها واقفاً أمام نافذتها لم يُبيلها  
الحب للصادق بل حب المال ... المال الذي سيطر على قلب تفكيره  
فجعله يستخدمها أداة طيعة في يده ... المال الذي صيره مجرماً أنيها  
ولم تتمالك الفتاة نفسها من البكاء في صرارة وألم ، ولكنه  
أخذ يراقبها في سكون دون أن تلين قلبه دموعها التي ذرفتها  
ولا جملها الذي زاده الحزن سحراً وفتنة ، ولم يلق بالآ إلى موت  
الكونتس في ذاته ، وإنما أحزنه أنها دفنت سرها معها

وعاد إلى الصمت فلم يتبادلا كلمة ولا نظرة حتى بدت طلائع  
الفجر فانسحب للضابط من حيث أتى وما لبث أن احتواه الطريق

— ٥ —

مضت أيام ثلاثة دخل هرمان بدها الهدير الذي رقدت فيه  
الكونتس ليؤدي لها واجب الاحترام الأخير ... ولكن هذا  
لم يكن قصده الحقيقي ، وإنما كان - ككل رجل لم يتسرب إلى  
قلبه شمع من الإيمان - شديد التشاؤم والتطير ، فحبل إليه أنه  
لو قصر في أداء هذا الواجب لحلت عليه لعنة روحها واستحق  
غضبها ، وإذا ذاك رأى أن يرضيها من هذا الطريق

دخل هرمان للقاعة فوجد جسدها مسجى على فراش من  
الخمل الأسود وقد احتاطه خدسها حاملين للشموع ... وبدا  
المكان رهيباً . ولما حان دور الضابط تقدم منها فأنحى قليلاً ،  
ونجاة صور له الوهم أن عيني المرأة تنظلمان إليه وأنها فتحتا

قلب الشاب تطرق أذنيه ... وبعد وقت سمع دقة واحدة ...  
ثم دقتين . ولم تمض لحظات حتى طادت المرية ترسل صوتها فيشتد  
خفقان قلبه ويزداد اضطرابه . ولما شعر بخطوات على السلم ركز  
بصره في ثقب الباب فرأى الكونتس تخلع ملابسها وترفع عن  
رأسها إكليل الورد والشعر المستعار ثم تجلس إلى مقعد بجوار  
النافذة تناضل الأرق دون جدوى

رفعت الكونتس رأسها حين سمعت حركة خلفها فرأت رجلاً  
متصباً أمامها . وما لبث هرمان أن قال : « لا تنهجي يا سيدتي  
بحق السماء . إني لا أود لك ضرراً وإنما جئت أنشد منك مطلباً  
هيناً » .

نظرت إليه المرأة المجوز وهي صامئة كأنها لا تسمع ، فأعاد  
قوله بصوت عال إذ ظنها صماء . ولكنها لم تتحرك فاستطرد يقول :  
« إنك تملكين أن تسمديني طوال حياتي دون أن يكلفك الأمر  
شيئاً سوى ثلاث وورقات »

وهنا فهمت الكونتس كل شيء فأجابت على الفور : « أوه .  
إنها مزحة ... أقسم لك على ذلك » . ولكن صوت هرمان  
قاطعها بقوله : « كلا يا سيدتي ، ألا تذكرين الرجل الذي  
أعطيتها له فضاغف ثروته »

بدا الاضطراب على وجهها . ولكن هرمان عاود للتقول :  
« هلا ذكرت لي ذاك السر ... لم تحفظينه لأحفادك ؟ إنهم  
في غنى عن مزيد من المال ... أما أنا فلن تأسفين على إسماعلي  
لأنني كفيل بالإنفاق على خير الوجوه ... هيا بربك تكلمي ...  
أفصحني ! »

وقف ينتظر الرد وقد هيل صبره ، ولما لم تجب أنحى متوسلاً  
وهو يقول : « ألا ترفين الرحمة والحب ... إذا كنت تذكركينهما  
فإني أستحلفك باسم الأبوة والأومة وبكل ما تقدسين ألا تنجبي  
أُملي ... اذكري أنك كبيرة السن وأن أبنائي وأحفادي  
سيباركون ذكراك »

ولكن الكونتس لم تجب ، وحينئذ نهض هرمان واقفاً  
وصد غدارة نحوها ثم أردف : « إذا سأضطرك إلى الكلام ! »  
اشتد اضطراب المرأة فاهتز رأسها بقوة ، ومدت يديها  
كأنها تبتغي أن تيمد شراً يوشك أن ينقض عليها ، ثم تراجعت  
إلى الوراء بلا حراك

« هيا لا تكوني كالأطفال ... إني أمهلك لآخر

وأخذ الجميع يتطلعون إليه ثم قال تروموف وهو بضمهم « لقد فقد الرجل عقله » وتلاه أحد اللاعبين بقوله :

« أسمح لي يا سيدي أن أحذرك منبهة المراهنة على مثل هذا المبلغ الجسيم .. إنها مفاسرة مميته فنحن لا نراهن عادة على أكثر من مائتي روبل »

ولكن هرمان قال في إصرار : « إنى أعلم ذلك فهل تقبلون لمي أم لا ؟ » وإذ ذاك قال صاحب النادي : « لا بأس فقد أردنا تنبيهك فقط »

وأخرج هرمان من حافظته عدداً من أوراق البنكوت سلمها لخدمته ثم بدأ اللعب فكشف الورقة التي بيده وكانت الرابحة

سرت موجة من الدهشة بين الحاضرين وتسلم هرمان ماربح ثم انصرف فأركا الخاسرين فريسة للذهول ، وفي الليلة التالية عاد إلى اللعب والتأم الجميع حول المائدة الخضراء تقاسم الضابط كالليلة السابقة وما أن كشف الورقة التي بيده وكانت السبعة حتى تبين أنها الرابحة ... وصرة أخرى جمع أرباحه ولم ينس أن يجي الحاضرين عند خروجه بأمناءة وإتسامة

ظهر هرمان في الليلة الثالثة والأخيرة ، وازدحم حول المائدة أنواع من المتفرجين واللاعبين وقد اشتد بهم الحماس والنشوق ثم بدأ اللعب ... فأخذ هرمان (الأس) واستمد الشكل للحظة الفاصلة نغم الصمت على أرجاء القاعة ... ثم أخذ الرئيس الورق بيد مضطربة ودار اللعب برهة ثم تبين أن الورقة الرابحة هي الأس وإذ ذاك كشف هرمان ورقته وهو يكاد يفقد عقله من الفرح والنبهة ... ولكنه وجدها (دام) Dame (سباتي) ... اشتد به الدهول وزاغت عيناه وتسلبت أطرافه وهو يحدق في الورقة إذ خيل إليه أن (الدام) تفتح عينها وتمضمها بينما ارتسمت على شفيتها ابتسامة هازئة ... شعر بالعرب يلجم لسانه ، فقد كانت (الدام) شديدة الشبه بالكونتس

— ٦ —

وبعد يومين كان زائر مستشفى أبو كوف يقع نظره في إحدى الحجرات على رجل فاقد للعقل والشعور ، لا يجيب عما يوجه إليه من أسئلة وإنما يظل يتم بصوت خافت :

« ثلاثة ... سبعة ... آس »

هلحى مراد  
الحامى

فتطأير منها للشرر ... ارتعد هرمان واختلج جسمه ثم ارتدى على من خلفه وقد غمر وجهه الشحوب ، وفي نفس اللحظة كانت ليزايتا في أقصى المكان قد أغشى عليها

خرج هرمان وقد تملكه الرعب والفرع فتوجه إلى حانة حيث جلس يحتسى كؤوس النبيذ ليرفه عن نفسه المكروية . ولما حان المساء عاد إلى بيته فاستلقى على الفراش وغرق في نوم عميق لم يصح منه إلا والليل بضم السكون فلا يبدد ظلمته سوى نور القمر المنهت من النافذة ...

ولم يكد ينسل للكرى عن عينيه حتى اعتدل جالساً ومكث بعض الوقت على تلك الحال ، وما لبث أن سمع خطوات شخص يمر بناافته ويتطلع إلى داخل الغرفة ثم يواصل سيره ... لم يلحظ الأمر في البداية باهتمام ولكنه ارتعد حين سمع باب منزله يفتح ، والمرر بردد صوت تلك الخطوات ، وأوشكت صرخة أن تفلت منه حين رأى امرأة في ملابس بيضاء منتصبه أمامه ... عرف فيها الكونتس أنها فازداد اضطرابه وازدد لهماه بصموية إذ سمعها تقول : « لقد جئتك رغم إرادتي لأشكر لك احترامك لذكراي ولأكافئك بذكر الوريقات الرابحة ، إنها : الثلاثة والسبعة والآس . ولكن احذر أن تماود اللعب بحد أن تجمع لنفسك ثروة ممقولة . وإذا تزوجت وصيقتي ليزايتا عفرت لك كل ما بدر منك »

نظقت بهذه الكلمات بين دهشته وذهوله ، ثم خرجت من حيث أنت وردد للطريق وقع أقدامها ...

لبث هرمان مشدوهاً بعض الوقت ، ثم اجتاز للفرقة وأيقظ خادمه ولكنه عثماً حاول أن يعرف منه شيئاً عن الأمر ؟ فقد كان هذا مستغرباً في النوم لحظة أن دخلت الكونتس

\*\*\*

لم يغمض للرجل جفن طوال تلك الليلة ، إذ أخذت الأفكار تطارده والأحلام تذكره بالثلاثة والسبعة والآس ؛ فحصر غيخته في البحث عن مكان للمقاسرة ، وحين علم بنيا عزيم فريق من الأثرياء على الالتفاف حول مائدة القمار بأحد الأندية يعم شطره وريح الأمل تدوى بين جنبيه ، وهناك وجد عليه القوم وكبار الضباط يلبون

جلس هرمان يشار كهم ، وما لبث حين مر به الدور أن أخذ ورقة وراهن عليها بمبلغ ٤٧ ألف روبل فتركزت حوله الأبصار